17 em Année No. 824

Lundi — 18 — 4 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

ص

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العــــدد ٨٢٤ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٩ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٨ — ١٨ أبريل سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

الدولار والشرق العربي

للأستــــاذ عمر حليق

هناك حقائق خطيرة قل أن تتعرض لها الجماهير السنة الرأى العام العربى عندما تتحدث عما يقترحه المعسكر الغربى على الشرق العربى من مساعدة اقتصادية ومحالفة عسكرية . وهذه المغريات التى تنقلها إلى القارئ العربى فى غير فطنة مواصلات فكرية هى فريسة بؤر التوجيه الضار فى السفارات الأجنبية وفى وكالات الأنباء « العالمية » التى يعيش على محصولها الإخبارى قارئ الصحف العربية والمستمع العربى .

ومن أبرز هذه الحقائق تجاهل المقبين العرب لحقيقة الوضع الاقتصادى القلق الذى يعيش عليه الولايات المتحدة وهى عماد المعسكر الغربى ، وحاجة هذا الوضع إلى استثمار الأموال فى المناطق التى توفر الربح العاجل المضمون كمنطقة العالم العربى .

فللمشروعات الأمريكية للمساعدة الخارجية كمشروع مارشال أوجه أخرى غير الأوجه السياسية . « الإنسانية » التى يبدو أن معظم ألسنة الرأى فى الشرق العربى ميالة إلى التعلق بها وحدها .

وحين نسلم بأن التوسع السوفياتى وذيوله السيئة فى شتى نواحى النشاط الإنسانى هو أخطر ما يواجه حاضر الشرق الأدنى يجدر بنا كذلك أن لا ننسى مطلقاً ما يستتر من الشر فى الاستسلام المطلق للتوسع الأنجلو أمريكى ؛ فإن امداد مشاريع « المساعدة » الأمريكية إلى الشرق العربى هو توسع تستلزمه الأزمات الحاضرة فى السياسة والاقتصاد والحرب التى تواجه المعسكر الغربى .

ولعل الوقوف على الوضع الاقتصادى فى الولايات المتحدة وعلى برامج التوسع التجارى الذى لا مفر للصناعة البريطانية من تحقيقه إذا حرصت على النهوض الصحيح — هذا الوقوف يلقى ضوءاً هادياً على سياسة الدولار فى منطقة الجامعة العربية .

إن الوضع الاقتصادى فى الولايات المتحدة الأمريكية قلق ؛ وليس هذا الجزم مقتبساً من تمقيبات « برافدا » و « ازفستيا » وراديو موسكو ؛ بل هو حقيقة لايستطيع الأمريكان كتمانها عن أنفسهم وإن استطاعوا — بفضل ما لهم من نفوذ قوى فى المواصلات الفكرية العالمية — التقليل من خطورتها خصوصاً لدى الشعوب التى ينقصها الوعى الاقتصادى الحساس كشعوب الشرق الأوسط

وأبرز مظاهر هذا القلق الاقتصادى فى منطقة الدولار مشكلة التضخم المالى وازدياد التبطل بين العمال الفنيين والصناعيين والتباين فى معدل الإنتاج والاستهلاك ، وألف وجه ووجه من المشاكل الاقتصادية المعقدة التى تأتى فى أعقاب الحروب الكبرى فالنكسات الاقتصادية — والنكسة وصف معتدل لحاضر

الاقتصاد الأمريكي — لا تولد بين عشية وضحاها ؛ إنما هي وليدة تضخم في الإنفاق وتضخم في الشراء وتضخم في الاقتراض. فقد اتسع الإنتاج الصناعي في أمريكا زمن الحرب اتساعاً هائلا في طفرة غير اعتيادية ، فارتفعت نسبة الإنفاق على النحو الذي خبره العالم بأسره ، وزادت نسبته في أمريكا . ومما ساعد على التضخم في الاقتراض طبيعة التعامل النقدي في الحياة الأمريكية (تسهيلات الدفع والتقسيط الخ) ؛ فنتج عن ذلك هذه التيارات التي واجهها الكيان الاقتصادي في أمريكا منذ أكثر من عامين ، ونجح في تفادي أزمتها الجارفة بالقرض البريطاني أولا ، ثم بمشروع مارشال وببرنامج التسلح الهائل الذي ينفذ في إسراف يستوعب العمال العاطلين ثانياً . وهو يحاول الآن أن يخطو خطوة إنقاذ أخرى على طريق التوسع الاقتصادي في المناطق « المتأخرة » .

إن إنهاض التنمية الاقتصادية ضرورة لاستقرار السلم العالمي — هذه حقيقة مسلم بها ، ولكن المهم في هذا العرض هو الوقوف على بعض العوامل الأساسية في مسألة قد تقرر مصير الكيان العربي لأجيال عديدة .

فالمساعدة الاقتصادية المقترحة ليست إحساناً خالصاً لرفع مستوى المعيشة للبائسين في الشرق العربي ؛ فالضمير الأمريكي لم ينفعل كثيراً لفاجعة فلسطين بالرغم من أن له اليد الطولى فيها .

والمساعدة الأمريكية ليست سهماً يوجه للشيوعية التي تربض على أبواب الشرق الأدنى — فموقف أمريكا من التطور في الصين ، وقصدها من تزويد الأتراك بحاجتهم الماسة ينفيان ذلك — ولكنها مصلحة فيها عنصر أناني وضرورة اقتصادية ملحة تضع في يد الشرق العربي عنصر مساومة فريد .

ذلك لأن هذا الشرق في رأي المستر إميل شرام رئيس بورصة نيويورك الكبرى ، من أفضل المناطق لاستثمار رؤوس الأموال الأمريكية لأسباب عددها في عدد يناير من مجلة عالم الأمم المتحدة وهي :

أولاً — إن الوضع الاقتصادي في الشرق الأدنى سليم جداً. فهو لم يتضرر من الحرب المنصرمة .

ثانياً — أن هذا الشرق لا يواجه وعياً اقتصاديا ، ولا نزعة اشتراكية جدية تعرض رؤوس الأموال الأجنبية للتأميم . فالقدمية الاقتصادية في الشرق الأدنى لن تستيقظ بصورة خطيرة إلا بعد أن تعطي رؤوس الأموال المستثمرة أكلا طيبا .

ثالثاً — إن هـذا الشرق بحاجة إلى التمويل وأولو الأمر يقدرون ذلك ، والتعامل معهم سيكون على أساس اقتصادي سليم

وطبيعي أن ما يقترحه الأمريكان من مساعدة للشرق الأوسط لا يقتصر على المخصصات الحكومية . وأكبر الظن أن هذه المخصصات ستكون على أقل نسبة . والواقع أن برنامج ترومان للمناطق التي تحتاج إلى التنمية الاقتصادية قصد في أساسه إلى تهيئة الفرص لرؤوس الأموال الأمريكية للاستثمار في الخارج وضمانة أرباحها .

وهناك نواح أخرى لا بد من الوقوف عليها لأية مساومة قد تدفع دول الجامعة العربية إلى الأخذ بها في هذه التيارات الجارفة .

فكما يستفاد من القليل الذي تنشره الصحف الأمريكية ومن الكثير الذي تنشره الصحف العربية ا عن طريقة حكومة أمريكا في مد مشروع مارشال إلى الشرق العربي ، فإن المساعدة ستقتصر على ناحيتين :

الأولى: تحسين الدفاع الاستراتيجي من الناحية الحربية الصرف ومن وجهة نظر حلفاء الغرب الصرف كذلك .

والأخرى: تنمية الإنتاج الزراعي كوسيلة لرفع مستوى المعيشة.

والتريث في بحث هاتين الناحيتين يكشف عن شؤون غاية في الخطورة للكيان القومي في كل من الدول العربية ، وفي السياسة الأقليمية التي تمثلها الجامعة العربية التي لا مفر — لعدة عوامل سياسية واقتصادية واجتماعية ، للعاطفين بالضاد من السير بوجبها على الرغم مما ألم بها من نكسات .

فمشاريع الإنتاج البترولي وأنابيبه وتأمين سريانه وحماية مواصلاته ستكون لواب « الإنماش » المقترح .

وطبيعي أن للشرق العربي حاجة ماسة لتحسين المواصلات ؛ ولكن هذا التحسين إذا توخى ما ينتظر منه من فوائد وجب أن لا يتقيد بمصلحة الإنتاج البترولي على حساب النواحي الأكثر أهمية والأشد ضرورة ؛ فالناحية الحيوية في مشكلة المواصلات في الشرق العربي أعقد من أن تقتصر على الإنتاج البترولي والمطارات السعودية والليبية القريبة من آبار الزيت الروسية في (باكو) وفي حوض

قزوين ومصانع الإنتاج الحربي الروسي فيما وراء جبال الأورال .

وللناحية الثانية وهي تحسين الإنتاج الزراعي كوسيلة لرفع مستوى المعيشة أوجه غير هذا الوجه الخلاب الذي قد يغري من لم يدرك حقيقة العلاج للعلل الاقتصادية في الشرق .

فان الانتاج الزراعي إذا لم يلازمه التصنيع الواسع النطاق الثابت الأركان فانه لن يستطيع رفع مستوى المعيشة لملايين المصريين مثلا ولا حل أزمة السكان وضآلة الدخل القومي : وهذه الحقيقة تنطبق على العراق وسائر أنحاء الشرق . وأن طبيعة العوامل الاقتصادية التي تدفع أمريكا وبريطانيا لمساعدة الشرق العربي تتطلب أن يظل هـذا الشرق مستهلكها لا منتجاً للسلع التي يعيش عليها الكيان الاقتصادي في أمريكا وبريطانيا . ولعل المصلحة البريطانية في هذه الناحية أشد انتفاعاً وأبعد في النتائج العملية . فإذا أشرك الأمريكان البريطانيين في مشاريعهم للشرق الأوسط فإن البريطانيين قد أشركوا من قبل (ركفلر) وأمثاله من أقطاب المال الأمريكان في هذه الإمبراطورية الاقتصادية التي تعمل الآن في صمت في أواسط القارة الأفريقية .

هذه ألوان من الحديث قد تساعد على معرفة بعض مواطن الضعف والقوة فيما يقترحه المعسكر الغربي . ويضاف إلى هـذه التلميحات الاقتصادية ذيول والتزامات سياسية خطيرة العواقب .

فإن أي مساعدة أو منحة أو قرض يستلزم التعاون مع الكيان اليهودي في فلسطين سيحقق له في الحاضر والمستقبل ما حققته الناحية الخفية من أعمال « مركز تموين الشرق الأوسط » الذي أقامه الحلفاء إبان الحرب العالمية الماضية ؛ إذ استطاع الاقتصاد اليهودي بواسطته أن يتركز بعد أن كان مضعضع الكيان مشرفاً على الإفلاس ، واستطاع أن يحظى بأنواع من المواد الخام والتصنيع الحربي عن يد مركز تموين الشرق الأوسط ، وهذا ما أثبتت معارك فلسطين مبلغ خطورته . والذي يزيد من حدة الدعوة إلى هذا الحذر من مثل هذا التعاون مع يهود فلسطين — مباشراً كان أم غير مباشر — المناصرة الشديدة التي يلقاها مشروع « مساعدة » الشرق الأوسط في البرلمان الأمريكي من الشيوخ والنواب الذين حملوا منذ سنين لواء العمل للمصلحة الصهيونية

* * *

ليست الخيرات الكامنة في الشرق العربي وحدها هي التي تغري واشنطون بالتودد ؛ ففي أمريكا الجنوبية أضعاف الخيرات التي في هذا الشرق . وليس خطر الشيوعية وحده هو الدافع لهذه « المساعدة » ، ففي الصين وكوريا وفي أمريكا الجنوبية كذلك — وهي الباب الخلفي للعم سام — ثغرات من الفقر والجهالة أوسع مما في الشرق العربي ، ومع ذلك فلا يضعها الأمريكان في طليعة الدول التي لها الأسبقية في « السخاء » الأمريكي . وليس الموقع الاستراتيجي وحده كذلك هو السبب الوحيد .

ولكن هذه الأسباب مجتمعة أوجدت حالة فريدة ، يجتمع فيها المصلحة الاقتصادية الاستثمارية مع الحاجة العسكرية ، وأخشى أن أقول مع النغمة الصهيونية . فعلى الذين يتولون التوجيه في هذه الحالة مسؤولية فاصلة في الكيان الأساسي للعالم العربي .

وإذا كان لابد من مساومة فلتكن على أساس من المصلحة القومية تراعي في حرص وفطنة حاضر العرب ومستقبلهم ، والتيارات الجارفة التي تحيط بهم .

(نيويورك) عمر حليق

المسرح والجمهور

للدكتور محمد القصاص

ليس الفن المسرحي هو المؤلف وما كتب فحسب ، ولا المؤلف ومعه الممثلون وحدهم ، بل لا بد له من جمهور أيضاً . تلك هي الدعائم الثلاث التي إذا فقد المسرح إحداها انهار .

بالطبع كل من يكتب ويطبع يبتغى أن يقرأ ، وإلا لا كتفى بتسجيل خواطره وأفكاره تسجيلا سريعاً دون أن يعمد إلى تنظيمها وتبويبها وطبعها ونشرها . فالفن اجتماعي بطبعه إذا عمى بجوهره . ومن ثم فإننا نعجب لكاتب يكتب ما لا يفهم القراء وما لا يعنيهم (ولا نتكلم هنا عن الشعر فقد يكون له موقف خاص) الكاتب الذي يعيش — كما يقال — في برجه العاجي بعيداً عن الحياة وعن الناس .

ولا نقصد من وراء ذلك أن يخر الكاتب راكعاً أمام جمهوره فيتملق عواطفه مهما انحطت ، ويتغنى بمواطن الضعف فيه ؛ كلا ، فإن هذا مفسدة للأدب مفسدة للفن ، بل هو إلى التهريج أقرب منه إلى الفن .

ولكن احتقار الجمهور والبعد عنه ، ومخاطبته بلغة غير لغته ، والاشتغال بنجوم السماء دون الأرض ومن عليها ، جرم مرتكب في حق الفن والمجتمع على السواء . ومع ذلك فقد نسلم جدلا ، جدلا فقط ، أن الرسام يستطيع أن يرسم لوحة يحتفظ بها لنفسه ، ولنفسه فقط ، وأن الشاعر يستطيع أن يكتب قصيدة يرددها بينه وبين نفسه من طلوع الشمس إلى غروبها ، ويكتمها عن جميع من عداه ، وأن القصاص قد يكتب قصة ثم يتركها تغط في سباتها العميق سنين وسنين حتى يأتي يومها ، حتى يأتي جمهورها بعد زمن يطول أو يقصر . ولن يضيرها ذلك في شيء فهي قد وجدت بالفعل منذ انتهى صاحبها من كتابتها ، ولن يزيدها وجوداً أن تظفر بعشرة قراء أو بعشرة آلاف قارىء أو بمائة ألف قارىء . ولن يكون لقارئها أي تأثير عليها ، بل هو الذي سيتأثر بها تأثراً سطحياً أو عميقاً ، عاجلا أو آجلا .

ومن جهة أخرى إذا كانت أفكاره عسرة الهضم ، أو كان ملتوى الأسلوب معقد التعبير مقتصداً في المقدمات خفي النتائج ، فقد يجوز له أن يترك كلامه على ما هو عليه دون أن يجهد نفسه في أن يرفع عن كتابته غموضاً يستطيع القراء أو غالبية القراء رفعه ولو بشيء من العسر . ذلك لأنه يعلم أن الكتاب يستطاع أن يقرأ وأن تعاد قراءته ، وأن كاتبه يستطيع فتحه أو إغلاقه متى شاء وأنى شاء ، وأن يكرر من عباراته كما عن له أن يفعل حتى يفهم . فإذا لم يكن بعد ذلك أهلا للفهم فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها .

أما العمل المسرحي فله شأن آخر فهو بمثابة كتاب يقرأ جماعة ، ومتى فتح لم يتسن لواحد من القراء أن يغلقه تبعاً لهواه . كتاب تدار صفحاته من تلقاء نفسها من أول صفحة إلى آخر صفحة . إذا قيلت منه كلمة فقد فاتت ، وليس لسامع أن يرجو من الممثل إعادتها ، وإلا أصبحت قاعة المسرح ميداناً لكوميديا أخرى غير كوميديا المؤلف : كوميديا الجمهور لا كوميديا الممثلين ، إذا راح المتفرجون — كما تخيل أحد الساخرين — في رواية غامضة يقومون الواحد بعد الواحد ، مطالبين بإعادة تلك الجملة أو بتفسير هذه الكلمة ، فيتصدى لهم الأذكياء أو من يتظاهرون بالذكاء فيطلبون إليهم أن يتركوهم ينصتون في هدوء وألا يقطعوا على الممثلين سلسلة اللعب ؛ ويجيبهم الأولون على عنفهم بعنف أشد منه ، حتى ينتهي بهم الأمر إلى التقاذف بالشتائم ثم إلى استعمال الأيدي . وهنا ينتقل تمثيل الدراما من فوق المسرح إلى قلب الصالة . على كل حال سواء أدفع المتفرج أجر مكانه أم لم يدفعه ، فإنه يصر على أن يفهم ، وأن يفهم على الفور كلمات المؤلف بمجرد أن يفوه بها الممثل .

ومن ثم وجب أن تكون التمثيلية مثلا أعلى في قوة الإفهام ووضوحه . فالمسرح إذاً معبد الوضوح ، يجب أن تسمى فيه الأشياء بأسمائها . وويل للمؤلف الذي يحاول أن يمثل قطعة باللغة الصينية على مسرح من مسارح القاهرة لا يفهم زائروه غير العربية . تلك هي إحدى الحقائق الكبرى التي على كاتب المسرحية أن يراعيها ، مهما كلفه ذلك من جهد ومن تضحية : أعني أن يستعمل لغة مشتركة بين الجميع ، مفهومة من الجميع ، مهما كانت

منتقاة طافحة بالصور والأخيلة موغلة فى الروح الأدبى .

وإليكم حقيقة أخرى ليست أقل من صاحبتها فى الأهمية . وهى أمر يتعدى الكلمات والعبارات إلى الموضوع الذى تعبر عنه ، إلى الأفكار التى هى لباس لها . فما جدوى الكلمة الواضحة المعنى والعبارة الصحيحة المبنى اليسيرة الفهم الجميلة الصورة ، إذا كانت الفكرة التى تعبر عنها أوالعاطفة التى تصفها أو تشيرها لا تمت بشىء إلى ما فى ذهن الجمهور وقلبه ، إذا كانت لا توقظ فيه صدى ولو خافتاً لهذه العاطفة أو تلك الفكرة ؟ وأسوأ من ذلك إذا أثارت فيه عاطفة مضادة لما أراد الكاتب ، أو إذا أثارت عاطفة ما عند بعض المتفرجين فجعلتهم يبكون وأخرى مناقضة لها عند البعض الآخر فجعلتهم يضحكون .

فعلى الكاتب المسرحى أن يخاطب عواطف وأفكاراً مشتركة بين جميع أو معظم أفراد جمهوره ، ولو كانت موزعة بينهم بأنصبة مختلفة .

قد يعترض علينا معترض فيقول : أواثق أنت من أنه قد يوجد شخصان فقط يؤخذان من بين الشعب دون اختيار فيرى بعد الاختيار أنهما يتفقان فى إحدى الفكر اتفاقاً كاملا ؟ ونحن نجيب على هذا بأن الاتفاق فى التفاصيل أمر عسير . ولكن من الطبيعى أن يتفق أفراد مجتمع من المجتمعات التى يصح أن يطلق عليها هذا الاسم فى طائفة من القيم العقلية والأخلاقية : كالحق والباطل ، والخير والشر (ولا تقول الجميل والقبيح ، فإن تلك قيم جمالية تخضع لاختلافات كثيرة لا محل لذكرها هنا) . فالاتفاق على الخير والانفاق على الشر ، ذلك هو الحد الأدنى الذى على المؤلف أن يسعى فى تحقيقه حتى يتفق التناسب بين عمله وجمهوره . ذلك هو الشرط الأساسى الذى يجب أن يتوفر فى التمثيلية لتثير انفعال الجمهور ولتجتذبه إلى ما يريد المؤلف أن يجتذبه إليه . فالقطعة التمثيلية لا تكون حقاً ولن تحيا حقاً إلا إذا حييت فى نفوس الجمهور كما حييت فى نفس الكاتب والممثل ، وفى نفس اللحظة التى يشاهدها فيها . وهذا ما جعل جاك كوبو من أعلام المسرح الفرنسى يقول : « لن يكون هنالك مسرح بمعنى الكلمة إلا يوم نجد رجل الصالة يتمتم بنفس الكلمات التى يفوه بها رجل المسرح فى نفس الوقت وبنفس القلب . » نعم لا يمكن أن يكون ذلك إلا يوم يصير رجل الصالة ورجل المسرح والمؤلف وكأنهم شخص واحد؛ ولابد لهم لذلك من ميدان معنوى مشترك . هذا الميدان يستطاع العثور عليه بسهولة فى مجتمع سليم التكوين ، فيه شىء كثير من التجانس ، يجتمع على الاعتراف ببعض الخير لأنه خير ، وببعض الشر على أنه شر ، وببعض الحق على أنه حق . أما إذا كان المجتمع مهلهلا لا تجانس فيه فإن مهمة المؤلف تعتبر من أشق الأمور . ففى هذه الحال يتعسر على الشاعر أن تتفق ويصعب على الكاتب أن يخاطب جمهوره بلغة يفهمها الجميع . ولكنه حتى فى هذه الحال لن يعدم أن يجد بذوراً طفيفة لآمال ومخاوف مشتركة . وحينئذ فعليه أن يتخذ منها نقطة ارتكاز يصدر عنها فى مسرحيته ، وأن يتخذ من مسرحيته ومن نشاطه فى الأدب المسرحى وسيلة لتقريب ما تنافر من عقلية أبناء وطنه . وهنا يبدو لنا بعض ما يستطيع المسرح أن يقدم للوطن والمدنية من خدمات . فمن الخطأ إذاً أن ننظر إلى المسرح (على نحو ما يفعل البعض) كما ننظر إلى حجرة مغلقة تدور بها بعض الأحداث ثم رفع منها أحد حوائطها فأصبح ما يجرى بداخلها على مرأى من المارة ، ولكنهم يشاهدونه مبهوتين دون أن يستطيعوا المشاركة فيه بعقولهم وقلوبهم ، بل دون أن يفهموا شيئاً منه ؛ وإنما يجب أن ننظر إليه كمنصة منصوبة فى ميدان عام تمثل عليها أحداث ، وتتصارع فوقها أفكار وميول وعواطف تتصل بنفوس الشاهدين جميعاً . فهو لذلك مكان التبادل النفسى بمعناه الصحيح . وعلى الكاتب المسرحى أن يدرس فى الحياة نفسها شروط هذا التبادل وأن يستخرج قوانينه حتى يضمن تحققه فى عمله ، وحتى لا يكلم الجمهور بلغة غير لغته .

فالفن المسرحى يقتضى وجود عادات ووجود مجتمع ووجود شعب بأنبل معانى الكلمة .

فالفن المسرحى ليس فناً مغلقاً ، ولا مما يؤجل تحقيقه خارج الكتاب الذى كتب فيه ، بل فن مفتوح ، فن الساعة التى يكتب فيها .

محمد القصاص

دكتوراه فى الآداب من جامعة باريس

أمام أبي الهـــــول

للأستاذ راجي الراعي

يا إلـه الصمت ، ويا ملتقى الأسرار ، ويا عقدة الألسنة ، ويا مثال المتأملين !

أيها الأسد الرائم المتحفز منذ القدم للوثوب على فريسته التي لم يجدها بعد ... يا ربيب الفراعنة ، ويا رفيق « الأهرام » ، ويا عجيبة المصريين ... أيها المتكبر الجبار الذي لم يخفض رأسه لأحد في الدنيا ، وقد مرت كلها من أمامه ... يا مصيبة الثرثارين ويا محتج الحائرين ... أيها الضاحك الباكي ، السعيد البائس ، الحائر المهتدي ، الثمل الصاحي ، القوي بأهرامه ، الضعيف برماله ، الجريء بصدره ، الحكيم بلسانه ... أيها البحر الذي تلاطمت فيه أمواج الأسرار ولم تنفث زبدها ... أيها الناسك الذي لم يؤمن بالعالم فأقام في صومعة الرمال وانقطع إلى ربه ونفسه ، الناسك الأكبر ، زعيم الناسكين ، تدق له نواقيس الذكرى في أودية التاريخ التي تعاقبت عليه ، ومن يستطيع أن يحصيها ؟

أيها الثمل بالذكريات غمرته بخمورها فلم يصح على العربدة ، وكيف يعربد الغريق ؟ وطوقته بجبالها وقبحها فجمد كالمجنون ونكأت عليه الخلائق ...

أيها البطل الضائع الذي ازدحمت في بطولاته مشاهد القرون على مختلف ضروبها وألوانها فضاق بها ذرعاً وابث مكانه لا يبدي حراكا ...

أيها المبرد بوسادته الحجرية لقلى المغرمين ، المخجل برباطة جأشه المذعورين الفارين ، المحطم بصخرة حيرته وشكه سفينة المهتدين ، المخرس بفصاحة عينيه زمرة المعربدين ، الهازئ بالعابرات والعابرين ، الضاحك على الأذلاء الخانعين ، الباكي على الضاحكين!

يا أبا الهول الذي هالته نفسه فلم يعرف أين يضعها وكيف يعبر عنها ، ويا فتنة النيل ورب الوادي ... أيها الأمين الأكبر الذي يحمل مفاتيح التاريخ ولم يخن واجب الأمانة ، أيها المبرم مع المجهول عهداً يحسده عليه الملوم ، أيها الغارق في لجج اللانهاية ولم يبلل ثوبه ... أيها المبسوط في حجره المنكمش في تصلبه ، أيها الطليق بعينيه السجين بين ألغازه ، أيها الناظر إلينا نظرته الغريبة بين صممه وبكمه كأنه يفتش بين السماء والأرض عمن جاءه بالصمم وعقل لسانه ليصفعه ويضمه إلى قلب رماله ...

أيها الواقف بين الماضي والمستقبل كأنه الصلة المفقودة التي نفتش عنها ! أيها الرجل العجيب الذي لم يتحرك بعد في هذا الجيل ، والكهرباء تشع في وجهه ، والطائرة تحلق فوق رأسه ! أيها الصابر صبراً دهشت له الأرض التي تصبر على موتاها ، ودهش له البحر الذي يصبر على غرقاه ...

أيها المتمرد الأكبر ، أيها الحاكي الذي يردد أصداء الإنسانية ، أيها العداد الذي يحصي فضائل الخليقة وعيوبها وساعات نعيمها وبؤسها ...

يا أبا الهول !

أتيتك بعد تلك القرون التي توالت على رأسك .. أتيتك في القرن العشرين متأخراً ، وتفرست فيك ، فخطرت لي النعوت والأسماء التي كسوتك بها ... رأيتك بعيني ولا أدري بأي عين رآك أسلافي ، وحرت فيك كما حاروا من قبلي ، ورمتني الحيرة بين أمواج الخيال فتخبطت في أسرارك ، وغرقت في أوصافك !

ما هي حقيقتك يا سيدي وأين هي ؟ وهل أنت تجهلني كما أجهلك ؟ من أنا ؟ أنظر إليّ جيداً ... أقوي أنا أم ضعيف ؟ أسعيد أنا أم بائس ؟ أنا كاتب يعرض في القراطيس رسوم النفس والحياة ... فهل أطربك قلمي ، وهل رأيت رسومي ؟ ؟ هل أنت شاعر بي ، أم أنت تنظر إليّ وترى نفسك ؟ !

قل لي أبا الهول : ألأمسي أنا أم لغدي ؟ وأين هو رقمي في جدول الإنسانية ؟ وهل في جبيني السطر الذي تفتش عنه منذ القدم ؟ أمصيب أنا في عقيدتي أم مخطئ ؟ أنا للشاعرية ... فهل في حجرك من شعري ؟ وهل الشعراء في نظرك هم الناس ، وهل في صدرك القاسي فؤاد رحيم ؟

أتيتك أسألك عن حقيقتك وحقيقتي ، فهل من جواب يخرج من فك ويريحني ؟ أما تاقت نفسك يا صاحبي إلى الكلام ولو مرة واحدة ، ألم تسأم الصمت ؟ ؟

حدثني .. وإن كنت مفقود اللسان ، ففي عينيك الجاحظتين ألف بيان دفين ... لا تخش أن تبوح لي بسرك ، فقد هجرك الناس وجئتك وحدي ، وفي هذا الدليل على حبي وإخلاصي ...

إن في رأسك حلماً كبيراً قديماً حار فيه لسانك ، وسقط تحت أثقاله صدرك ، فجثمت مكانك صابراً صبر الأسياد لا صبر

فلسفة طاغور الأخلاقية:

مشـــــكلة الشر
فى ضوء وحدة الوجود

للأستاذ عبد العزيز محمد الزكى

إن اعتناق طاغور عقيدة وحدة الوجود لم يضف جديداً للفكر الهندى ، بل هو أخذ من القديم ، وترديد لنفحات حكماء السابقين . وإن تدعيمه هـذه العقيدة بتوضيح ما يكتنفها من إبهام ، وما يشيع فيها من إشكال ، أو بعثه لها فى قالب شعبى يجدد من حيويتها ، ويذيعها بين العام قبل الخاص ، وائن كان فيه شئ من الجدة فإنها لا تظهر طاغور إلا بمظهر الدافع عن تراث دينى عتيق . وإنما الذى يفصح عن إبتكاره الفكرى ، هو إستمانته بهذه العقيدة فى تدعيم المبادئ الأخلاقية ، وتفسير ما يشوب الحياة الإنسانية من شر ، وما ينتابها من سوء .

وإن كان فى تصور تجلى الله فى مكونات الوجود فى صورة قانونها العام شئ من البراعة الفكرية ، فإن تصور حلول الله فى الإنسان على صورة القانون الأخلاقى ، ينم عن مهارة روحية فائقة ، تظهر قدرة طاغور اللائكية فى كيفية إحكام ربط الإنسان بالله ، إذ جعل أفضل ما فى الإنسان مستمداً من الله ، واتخذ من أنبل ما يحتويه كيانه من قيم روحية سبيلا لتحقيق اتحاده بخالقه اللانهائى . وإن كان هناك كثير من البشر يعصى أوامر القانون الأخلاقى ، الذى ليس إلا قبساً من نور الله فاض به على الإنسان ، فظهر فيه فى قالب فطرته الخيرة ، التى تحارب الغرائز البهيمية والشهوات المنحطة ، وتقاوم سحر ملاذ الدنيا ، وتدفع إغراء متعها المادية ، كما تطهر النفس من كل ما يمكن أن يتسرب إليها من دنس ، وتخضع حياة الإنسان للقيم الفاضلة ؛ فإن هؤلاء الذين يعصون هـذا القانون الخلقى ، ولا يؤمنون بسيادته على النفس ، يعتقدون أن منفعتهم الخاصة يجب أن تكون قانون حياتهم الوحيد ، ويفضلوا أن يتمردوا على فطرتهم الخيرة على

العبيد ... لقد أقعدك حلمك عن السير ، وملأ نفسك فلهوت به عن الناس ...

حدثنى أبا الهول : ما هذا الحلم الذى تنسج خيوطه على مهل ؟ أما حان لك أن تستريح ؟ لقد طال حلمك وطال صبرى !

بما ذا تفكر ؟ أبالله وسمواته وكواكبه ونجومه ، أم بالقرون التى مرت بك ، أم بهذا العالم الفانى ، أم بى ؟ ؟

حدثنى .. ولكن لا ، ابق صامتاً ، فإننى أخاف إذا تكلمت أن لا يقال بعد ذلك : هذا (أبو الهول) ... إن صمتك حديث الناس ، وقد لا يكون حديثك حديثهم ، فما يدريك أن تكون الكلمة الأولى التى تنطق بها وبالا عليك ، ودليلاً على أنك لم تكن إلا حجراً .. ابق صامتاً ... إن قوتك فى صمتك ... أنت ملك الصمت ، فلا تخلع عرشك بيدك !

ولعلك فقهت معنى الحياة ، فرأيت أن الصمت خير ما فيها ، أنت صخرة اقتطعتها السموات من جبال عظمتها وأمجادها ، فكبرت نفسك حتى أنفت أن يكون اللسان بوقها وترجمانها ورسولها ، وهل يصلح اللسان ، هذا الثرثار الضعيف المزعج ليعبر عن أسرار النفس والطبيعة ؟ هل يقوى على الثبات فى ساحة النفس الكبيرة إذا ثار بركانها ؟

انظر إلى الفيلسوف كيف يخرس ساعة يصطدم بالمجهول ، وإلى الجندى كيف يُعقل لسانه ساعة يصطدم بالخطر ويصافح الموت ، وإلى الفنان كيف يصمت صمته العميق ساعة يسحره الجمال ، وتحتل الشاعرية أعماق قلبه ... وانظر إلى الفقير الذى شرب ثمالات الكئوس كيف يعجز عن النطق وفى فمه كل دعوة ، وإلى المؤمن الناسك كيف يقطع لسانه ليتصل بالخالق ، وإلى النسور والأسود كيف تأوى إلى عزلتها وصمتها وتترفع عن الخلائق ...

ابق صامتاً ، أبا الهول ، فقد يكون فى صدرك كثير من الحسد والضغينة والرياء والضعف والكبرياء والطمع واللؤم ... وأنا لست بحاجة إلى نفث سمومها ، فيكفينى ما ينساب فى طريقى من الأفاعى ... يكفينى هذا الإنسان الذى يوزع لسانه الشقاء فى العالم ويكشف ما انطوى عليه صدره !

ابق صامتاً ، فلا أدرى ما وراء صمتك ... إن كنت إنساناً فزميلك يكفينى ، وإن كنت من جماعة « الأولمب » فابق بين آلهتك ...

ابق صامتاً ، فالصمت أرحب من الكلام وأبلغ لأنه يحويه !

راجى الراعى

أن يبتذلوا لها إذا تعارضت مع فائدتهم ، ويقبلون أن يتبعوا أهواءهم الخبيثة ما دامت ترضى رغباتهم الجشعة . وبذلك يفسحون المجال لهذه الرغبات لأن تعيث فساداً فى النفس ، وتغلّها بأنانية بشعة طاغية ، تحبسها فى سجن رهيب من المصالح الخاصة ، لا تسمح لها بأن تخرج من دائرة الذات الضيقة إلى ساحة المجتمع الإنسانى ، بل تبذر فيها بذور الطمع ، وتلقنها فنون إقتراف الخطايا ، فتغرق فى بحر من الآثام ، وتقع فى وهدة الشر ، فتغيب عنها معرفة الله الكامن فى أغوارها على صورة ذلك القانون الذى أبت أن تخضع له ، وتتقيد به .

وبذلك يحجب الإثم والشر عن النفس إدراك قانونها العام ، ويسلبها حب الذات القدرة على تحطيم أغلال الأنانية ، فتحيد عن طريق وحدة الوجود ، وتعجز عن معرفة أن جوهرها يتضمن أكثر من وجودها الفردى ، وتخفق فى الإحساس بالله الذى أودع ذاته فى طياتها ، وبالتالى تفشل فى الكشف عن اتحاد الله بسائر الأشياء ، وتخيب فى تحقيق كمالها الروحى ، ولا تتمتع بالحياة فى كنف حقيقة الحياة الأولى ألا وهى حقيقة « وحدة الوجود » .

وخروج الإنسان عن طاعة قانونه الخلقى مرده إلى أن الله وإن قيد الإنسان بضرورة الخضوع لهذا القانون ، ترك له حرية تامة فى طاعته أو عصيانه ، كما منحه إرادة حرة لها التصرف فى الشئون الدنيوية ، ولم يلزمه بفعل الخير أو تجنب الشر ، لأن فطرته تسمح له بأن يميز بين الخير والشر ، وتمكنه من أن يسلك طائعاً مختاراً الطريق السوى . لأن فى النفس الإنسانية نوعين من الرغبات : أحدهما خاص والآخر عام . والرغبات الخاصة تجرى وراء المطالب الذاتية ، وتقف عند حد الفوائد الشخصية ، بينما الرغبات العامة مطالبها تتعدى كل ما هو ذاتى ، وتنشد خير كل ما هو كلى مثل الأسرة أو الوطن أو الإنسانية . وإرادة الإنسان يمكنها أن تسير تحت ضغط أى النوعين من الرغبات ، وتملك القدرة على تغليب سيطرة الرغبات العامة على الرغبات الخاصة .

فإن خضع الإنسان لقيادة القوانين الأخلاقية ، وتحكم فى أهوائه ونزعاته سار فى طريق الخير ، وإن اتخذ من الإيثار والتضحيه سبلا لسعادة الغير ، فهو لا شك مساهم فى خدمة أهله ، ومشارك فى إصلاح وطنه ، ومجاهد فى سبيل ترقية الحياة الإنسانية عامة . وإن بذل نفسه رخيصة من أجل عشيرته أو بلاده ولم يكترث بما يعانيه من حرمان ، فقد عرف كيف يذيب الأنانية ، ويقضى على حب الذات فى نفسه ، وإن أصر على تحقيق خير البشرية ولم يحل دون ذلك ما يقف أمامه من صعوبات ، فإنه يمد لنفسه طريق الاندماج فى الله . وعلى يد هؤلاء الذين فازوا بسرور غير محدود ينبع من الحياة فى حقيقة وحدة الوجود ينال البشر سعادتهم ، ويتخلصون من كل ما ينغص عليهم حياتهم من شر ، وينتشر بينهم الخير .

أما الذى يأبى أن يخضع للقوانين الأخلاقية ، ويركب رأسه ويريد على الدوام أن يستولى على ربح خاص لا يشاركه فيه أحد ، أو يحظى بمزايا لا ينافسه فيها إنسان ، فإنه فضلاً عن أنه لن يهتدى إلى حقيقة وحدة الوجود ، ولا بد أن يصطدم برغبات الجماعة ، ويدخل فى حرب مع كل نفع عام عندما يعرقل نفعه الخاص . وذلك يشيع التفرق والتنابذ بين أفراد المجتمع الإنسانى ، وينشر بينهم التكالب على المصالح الذاتية ، بل يحطم ما يربطهم من علاقات محبة وتعاون ، فتنحل أواصر الأسرة ، ويتفكك كيان الوطن ، وينعدم الأمل فى تآلف دول العالم ، وينقلب النظام الطبيعى فى الحياة إلى فوضى ، فيضع القوى قوانين جائرة يدعى أنه وضعها لتنظيم المجتمع ، بينما هى تستمد أصول تشريعها من أشرار الأنانية ، وتعتمد على القوة والوحشية فى تنفيذها ، وتبتدع أساليب جديدة فى إذلال الإنسان الوديع واستغلال الشعوب المتأخرة

ولكن إذا أمعن غيه ، وصمم على أن لا يحيد عن طريق حب فائدته ، واستكبر أن يطيع أوامر القانون الخلقى ، سيلبث فى صراع عنيف مستمر مع صالح الكل ، يستفحل أمره شيئاً فشيئاً إلى أن يقضى عليه آخر الأمر . وهذا مصير كل فرد يقف فى وجه الجماعة ، ولذلك يجب على الإنسان أن يكبح جماح غرائزه وشهواته التى تلح فى طلب المنافع الخاصة ، وتوهمه بأن هذه المنافع هى غاية حياته ، وتحرضه على أن لا يسلم أمرة النفس للقيم الروحية التى تطلب منه أن يعيش لغيره كما يعيش لنفسه ، وأن يضحى برغباته الشخصية إذا تعارضت مع سعادة النفس الكبرى التى تشمل حياة الإنسانية بأجمعها . والإنسان العاقل هو من يوفق بين الرغبات التى ترضى النفس القروية وبين رغبة إسعاد المجتمع الإنسانى ، لأن كل من يحاول أن يقف وحده فى وجه قوى المجتمع ، ويرغب فى أن يحصرها فى نطاق فائدته مصيره

إلى الدمار . إن سجل التاريخ الإنسانى لحافل بالثورات العظمى ، التى تشهد بأن الجزء حينما يحتقر الكل ، وينشد لنفسه منافع خاصة من دون الجماعة ، ويسير فى طريق منفصل عن طريقهم ، لا بد أن تثور ضده القوى الكلية ، وتشن عليه حرباً لا هوادة فيها حتى ترغمه على أن يسلك طريقها العام صاغراً .

يتضح مما تقدم أن نار الشر تندلع من شرر عصيان الأوامر الأخلاقية التى تنذر بأن الأنانية ستسود حياة الفرد ، وأن الإرادة ستسكن لسيطرة الشهوات والغرائز ، التى تفسد الناحية الخيرة فى النفس ، وتتلف مقوماتها الروحية وتدفعها فى طريق الخطايا والآثام ، وتوهمها بأن ذاتها هى غايتها الوحيدة فى الحياة ، وأن لا عمل لها إلا الجرى وراء غنمها الشخصى . ومثل هذه الأهواء الشريرة تخيم على البصيرة فتحجب عن الروح إدراك الله المستقر فى قرارة النفس على صورة القانون الخلقى ، فيضل الإنسان فى غياهب الشر ، ويبعد عن طريق وحدة الوجود . كما تلائم هذه الأهواء الفردية الحياة العامة وتعرقل تقدم المجتمع الإنسانى ، وتسوق المتأثر بها إلى خوض غمار حرب مع قوة العواطف الخيرة ، أو يصطدم بالمصالح العامة ، لأنها تؤذى أغلبية القوم وتضر بمنافعهم ، وتوقع عليهم ظلماً وجوراً لا تصبر عليه النفوس طويلاً ، وسريعاً ما تتألب عليه وتحطمه ، وتضع الحق فى نصابه ، وتسلب من الظالم أداة ظلمه ، وترده إلى طريق الصواب ، وتجبره على أن يعمل الخير للجميع .

فرغبة الشر رغبة ذاتية عرضية ، لا تدوم إلا بدوام سيادة الأنانية على النفس ، وتزول عند مثول رغبة الخير التى تنسجم مع القانون الأخلاقى . أما الشر فى حد ذاته فحقيقته سلبية غير ثابتة ، ولا ينفك يتحول فى مظهره إلى أن يصير على آخر الأمر خيراً يعم الجميع ، لصراعه الذى لا ينقطع مع قوى الحق التى تنشد حقيقة وحدة الوجود . ومثل الشر فى تغيره هذا مثل الفلسفة الفكرية التى يأخذ العلم فى تنقيحها وتصحيحها شيئاً فشيئاً إلى أن تصير حقيقة ثابتة .

بينما رغبة الخير يقويها فى النفس الإيمان العميق بأن الله أودع ذاته الإنسان على صورة القانون الخلقى ، الذى يجب أن يتمسك به كل عاقل ، ويرضى رضاء تاماً أن يخضع لتعليماته وإشاراته . والخير قبس من لدن الله ينير سبيل الروح نحو وحدة النفس الإنسانية ، ويهديها إلى الكشف عن أوجه الله المختلفة فى أعماق الكون ، فمن رغب الخير سار فى طريق وحدة الوجود وأتبع هدى رغبة كلية إيجابية تتمشى مع أغراض الحياة العامة وتدفعه دفعاً حثيثاً نحو الرقى والسعادة ، وتحصن بقوة لا ترهب نيران الشر المفترسة ، وتسحق الأنانية فى النفس . إن تطور الحضارات ، ودأب الإنسان المتواصل فى الوصول إلى أرفع درجات الكمال ، لأوضح دليل على أن الخير يتغلب على الشر ، وأن الغيرية تنازع الأنانية ، وأن الوحدة الإنسانية تبتلع كل وحدة فردية ، وأن العالم فى طريقه نحو وحدة الوجود .

فليس هناك ما يدعو للاعتقاد فى أن الحياة شر فى شر ، أو تسير من الشر إلى الشر ، ولا خير فيها على الإطلاق ، ولن ينجو فيها أحد من سوء . لأن الشر فوق أنه حقيقة سلبية متغيرة غير ثابتة على الحال ومآلها للزوال ، لا يمكنه أن يعوق تدفق تيار الحياة أو يعرقل تحقيق مثلها العليا فى الخير ، أو يفتت من عزم الإنسانية الوطيد على الفوز بحقيقة وحدة الوجود عن طريق التمسك بالقانون الخلقى الذى هو إحدى آيات الله التى تكمن فى شتى الموجودات . وأن ما بلغه الانسان من تمدن ليشهد على أن الشر ليس له من القوة الإيجابية ما للخير ، ولا يقدر أن ينضب ينابيع الخير التى فاض بها الله على الحياة الانسانية ، بل إن ما فى الوجود من شر يلاحظ أنه يتلاشى تدريجيا مع تقدم الحياة المستمر ، بينما ما يتحقق من خير تبقى أصوله ثابتة فى أعماق الحياة ، ويبدو أثرها فى مختلف نواحى النشاط الانسانى . فالحياة تتحرك دائماً نحو الخير متخذة منه وسيلة لتثبيت أركان الوحدة الانسانية ، التى عن طريقها تسير البشرية خطوات نحو وحدة الوجود .

أما ذلك الشر الذى ينتشر فى الكون ، ويقاسى منه البشر كافة أصناف الآلام ، ليس دليلا على أن الحياة فى أصلها تجلب الشر ، وإنما هو علامة على أن الحياة الإنسانية لم تبلغ بعد كمالها الأقصى الذى يجب أن تبلغه ، وأنه ما زال أمامها مراحل شاقة من التضحية والإيثار عليها أن تبذلها ، حتى تصير حقيقة وحدة الوجود حقيقة حية فى القلوب ، فينعم الجميع بالراحة والسعادة والسعادة والأمن وينجون من ظلام الشر الذى يثير القلق ، والخوف والحزن فى النفوس .

عبد العزيز محمد الزكى

مدرس الآداب بمدرسة صلاح الدين الأميرية

ختام قصة :

من الأعماق

للأستاذ كامل محمود حبيب

— ٣ —

... وظل الشابان فى تردد وحيرة ، والفتاة فى الدار لا تجد الخيرة من أمرها ، وهى قد وافقت منذ حين على أن تتزوج من جلال ...

وأصر جلال على رأيه فى تشبث وعناد ، لأنه خطب الفتاة إلى أبيها فوجد منه الرضا والقبول ، ووجد من أمها العطف والحنان ، وألفى فى أهلها الصاحب والرفيق . وأهله يتأهبون — منذ حين — ليوم الزفاف وهو قريب . على حين قد أخذ هو يستعد لما بعد هذا اليوم — لشهر العسل — فى سرور واستبشار .

ما ذا يضير الفتى بعد ، وإنه ليدخل إلى دار الفتاة فيجد من يستقبله فى حفاوة وإيثار ، ومن يتحدث إليه فى رقة وحنان ، ومن يبذل له العطف والمحبة ، ومن يحرص على راحته وهدوئه ، وأخيراً يجد من يودعه فى حرارة وشغف .

وأحس فكرى بك بأن فى شباب جلال وقوته ما يبعث فى الدار الحياة والحركة : وما يرسل فى قلبه الهدوء والطمأنينة ، واستشعرت الأم فى الفتى النور والبشرى . لقد انبثق هذا الشعور فى قلبيهما قوياً عميقاً ، لأنهما عاشا عمراً يلتمسان الابن (الذكر) فلا يجدانه ، والرجل ذو ثراء وذو حاجات ، يقعده عن أن يشرف على كثير منها ما يحس من وهن وضعف من أثر الشيخوخة التى تدب فى مفاصله رويداً رويداً . وهذا أخوه الفلاح يسيطر على رغباته ويغتال ماله فى عنف ، وهو يقوم على حاجات العزبة ، ويدير أمورها ، ويستبد بشئونها ، ثم لا يرسل إلى سعادة البك إلا فضلة ما يبقى من غلات أرضه ، والبك لا يستطيع أن ينزع الأطيان من بين يدى أخيه فتضطرب شئونها ويختل أمرها وما له عهد بإدارتها ، ولا أن ينال حقه بقوة القانون فتلوكه الألسن ، ويتندر به الفلاحون فى مجالسهم .

والآن ، جاء جلال — بعد لأى — ليكون ابناً فى الدار لتنبض بالحياة والنشاط ، وسيداً فى العزبة ليزيح عنها هذا الكابوس الجاثم على خيراتها ومغانمها

كل أولئك غشى على عينى الفتى ثم يلق باله إلى هذا الشحوب البادى على وجه الفتاة فيمتص نضارتها ورونقها ، ولا إلى هذا الفتور الذى يستلها من إرادتها حين تلقاه . ولم يزعجه هذا النفور الذى يلمسه دائماً ، فهى لا تأنس إليه إلا ريثما تتفلت من لدنه . ولم يضايقه أن لا تبسم له إلا ابتسامة جافة عارية ينبجس من أعماقها معنى الألم والحسرة . فهو لا يحس أنها تنطوى على بغض له ما تستطيع أن تبوح به خشية أن تجتاحها ثورة الأب ونقمة الأم . إنه لفى شغل عن ما يختلج فى أطواء الفتاة ، لأنه سعيد فى هذه الدار ، سعيد بالضجة التى تكتنفه هنا وهنالك ، سعيد بالزواج من هذه الفتاة الجميلة الزكية . غير أن خاطرة كانت تحوم حول عقله توشك أن تلجه فيدفعها عنه فى شدة وعنف ، خاطرة نبت غرامها فى قلبه منذ أن تحدث إلى عادل حديثه وحديث الفتاة ، فوجد منه الإصرار والعناد ، لقد استطاع أن يوهم نفسه بأن الفتاة تلقاه فى وجوم وصمت من أثر الحياء والخفر ، وأنها تنزوى عنه حين تريد أن تصطنع الدلال والتمنع ، وهو حين يسيطر عليه الشك يتخيل بأن خلجات نفس الفتاة نزوة طائشة من نزوات الشباب لا تلبث أن تهدأ وتستقر .

وانطوت الأيام تدفع المشكلة إلى نهايتها .

* * *

أما عادل فكان يرى الحوادث حواليه تضطرب وتندفع إلى غايتها ، وما له يد يدفع بها هذه العاصفة وهى توشك أن تلفه فى غير رحمة ولا شفقة . لقد كان يلقى فتاته بين الحين والحين لا يستطيع أن ينزع نفسه عنها ، ويجلس إلى جوارها يتحدث إليها ، وإن قلبه المكلوم ليئن أنيناً يسمع ويرى ، وهو يوارى زفراته الحرّى ، ويدارى عبراته الساخنة خلف ستار من الرجولة والكرامة .

ولكن عين الفتاة كانت تنفذ إلى ما وراء الحجاب فلا ينطلى عليها هذا التصنع وهى ترى فتاها يتهد من حزن عميق ، ويتضعضع من أثر الصدمة . وهو يرى فتاته تذوى وتذبل لأنها تنقاد إلى أسر .

آه ، ليت هذا الفتى المرح الطروب ينطلق على سجيته فلا

يدع الأوهام الكاذبة تكبّل روحه الوثابة .!

وضاق عادل بما يجد ، فانطلق إلى أبيه فى القرية يطب لروحه وترفق الأب الشيخ بابنه الشاب وهو يحدثه : « يا بنى ، وما ذا عسى أن أفعل والفتاة قد سميت على فتى آخر ؟ أفتراني أستطيع أن أطلب إلى فكرى بك أن يطرد خطيب ابنته فى غير ذنب لتستقر أنت مكانه ؟ إننى — وقد عركتنى الحياة — لا أومن بالحب ، وهو خرافة قلبية خلقها الشباب ليبرر بها نزوات الطيش وبدوات النزق ، والحياة الزوجية — فى رأى العاقل — دار وزوجة وأولاد . وغداً تطم حاجات الدار على ثورات القلب ، وتمسح تكاليف الحياة على نوازع النفس ، وتبدو الحياة أمامك طفلاً يدرج فى فناء الدار ، ثم صبياً يتقلب فى المدرسة ، فإذا هو شاب تنمحى حاجاتك أنت لتفسح الطريق لما يطلب هو ، فتبذل له المال والنفس والروح جميعاً ... ولكن ، ألا تعلم شيئاً عن الفتى الذى تزعمه غريماً لك ؟ » قال عادل : « أنا لا أعلم من أمره شيئاً ، ولم أجلس إليه إلا مرة واحدة فى مقهى على النيل من مقاهى الجيزة . لقد جاء ليحدثنى حديثه ، ويطلب إلىّ أن أنسحب من هذا الميدان كى لا أخلق المشكلة التى يعضل حلها . إنه فتى وسيم الطلعة ، ريق الشباب ، عليه سيما القوة والجد ، وعلامة النعمة والثراء ، وهو هادئ الطبع ، لين الحديث فى غير ضعف ... هو جلال بن عزت بك » !

وبدت الدهشة على وجه الأب حين سمع هذا الإسم ، ونظر إلى ابنه نظرة صارمة ، ثم راح يقول : « الأميرالاى عزت بك ! إنه رفيق الصبا ، وترب المدرسة والملعب ، وصديق الشباب ، وإنه منى بالمكان الذى أحرص فيه على رضاه لأيادٍ كثيرة له عندى . هذا أمر لم تكن تعرفه من قبل . وهكذا ترى أننى لا أستطيع أن أزحمه فى أمر اختاره لابنه وسبقنى إليه . ولا ريب فى أن رجولتك وعقلك وحق عليك ستدفعك حتما إلى أن تبقى علىّ وتنزل عند رأيى ، فدع عنك هذا الأمر ، دعه وأنا أختار لك من تشاء لتكون زوجاً لك ، وأبذل لك الجهد والمال لترضى ! »

وخرج الفتى من لدن أبيه يتعثر فى خيبته ، وإن قلبه ورجولته ليتجاذبانه ، فما يدرى ما ذا يفعل ، وهو لا يستطيع أن يفعل شيئاً . الآن — وقد سدت الأبواب جميعاً فى وجهه — لم يبق أمامه إلا أن يتوارى عن عينى الفتاة إلى الأبد . ولكن رجولته أبت عليه أن ينسل خفية كما يفر الجبان الرعديد من الميدان تحت سترين من الظلام والسكون .

لقد عقد العزم على أن ينسحب مثلما يرتد الجندى العاتى الجبار حين يرتد فى وضح النهار ووجهه دائماً قبالة العدو ، لا يطأطئ رأسه ولا تذل هامته ، فذهب إلى الفتاة يعلن أمامها رأيه فى قوة وصراحة .

وجلسا معاً فى ناحية من حديقة الدار . لقد جاء يعلن لها رأيه ورأى أبيه . ولكنه تخاذل أمام جمالها الآسر وهو إلى جواره يشع حياة ونوراً ، وتداعى أمام حبها المتأجج وهو يتألق فى روحه بهجة وروعة ، فأمسك عن الحديث . أفكان يطمع فى أن يمد فى عمر سعادته قبل أن يفترقا إلى الأبد ، أم كان يشعر بأن فى كلماته صفعات عنيفة فهو يؤجل حيناً بعد حين رحمة بقلبين ؟ ولكن صوت أبيه الشيخ رن فى أذنيه ينادى : « ولا ريب فى أن رجولتك وعقلك وحق عليك ستدفعك حتماً إلى أن تبقى علىّ وتنزل عند رأيى » . فهمّ مندفعاً يعلن رأيه ، وانطلقت كلماته هينة رقيقة ولكنها وقعت على قلب الفتاة المسكينة فى مثل قوة العاصفة العاتية فأجهشت للبكاء ، وانطلق صوب الباب يريد أن يهرب من ضعفه

لقد انطلق عادل ليهرب من ضعفه ، ولكنه ما كاد يقترب من الباب حتى ارتطم بشاب يزحمه الطريق : هو جلال . لقد رأى جلال بعينيه .. رأى الفتى والفتاة فى كن تحت شجرة من أشجار الحديقة يستمتعان بالخلوة فى منأى عن الرقيب ، فوقف ينظر فى ذهول وغيظ وحديثهما لا يكاد يبلغ مسمعيه . وحين انطلق عادل صوب الباب أخذ جلال عليه الطريق ، ولكن عادلا لم يعبأ به وانطلق فى طريقه دون أن يلتفت إليه ، يريد أن يهرب من ضعفه

وحز فى نفس جلال ما رأى ، فانطلق إلى الفتاة يربّت على كتفها ويقول فى غيظ وكمد : « لا تحزنى يا فتاتى ، لقد رأيت وسمعت . والآن أتنحى أنا لتجدى السعادة والرفاهية إلى جانب الحبيب » . ثم اندفع إلى أمها فى ثورة تفور وتغلى يقذف فى وجهها بخاتم الخطوبة .

لقد خسرت الفتاة الحبيب والزوج فى وقت معاً ، وجلست فى زاوية ، وإن شبح ابنة عمها ليضطرب فى ناظريها كلما ذكرت الخطبة والزواج ، ابنة عمها التى أشرفت على الأربعين ولما تجد الزوج .

كامل محمود حبيب

فزان بين يدي الأتراك والطليان

للأستاذ أحمد رمزي بك

— ٤ —

إيطاليا تسترد فزان :

حينما يتكلم جرازياني تنصت السموات العلا ويفتح الناس آذانهم ، إلا أهل فرنسا فهم لا يتركونه من غير أن يناله رذاذ من تقدم : أنظر إليه يقول : « لا توجد على الأرض دولة بوسعها إن تفخر أنها ختمت حملة استعمارية بالنصر الذي ختمنا به حملتنا على الكفرة وفزان : ليس بوسع الفرنسيين أن يدّعوا شيئاً من ذلك ، بل نؤكد أمام العالم تفوقنا عليهم رغم الانتقادات التي توجه إلينا من سكان ما وراء الألب (يقصد فرنسا) أو سكان ما وراء المانش (يقصد بريطانيا) » .

ثم انظر إلى ردهم الحاسم بعد فتحهم فزان في سنة ١٩٤٣ فيما نشره الفرنسيون بسخريتهم المرونة :

qne répondre ä telle vsntardises bèau de lion dovt,d'In oonp de griffe nos troupes ont dépoullé , maltre crszlani

أنصت إليه في مؤلفه :

يحدثنا عن نفسه : Pace Romsna In libia

« ما قد أعطيت الكلمة لتحكيم السيف وإنها لكلمة مقدسة حينما نريد أن نفرض إرادتنا على خصم عنيد ؛ إنها مقدسة ولمائة مرة حينما نقذف في وجه الأهالي الوطنيين الذين صمت آذانهم عن سماع أي منطق إلا ما توحيه إليهم عقولهم الهمجية ، أولئك لا يقنعهم شيء سوى استعمال القوة تصحبها العدالة » .

أرأيتم مثل هذا إلا في عهد قيصر ! ! !

فهو إذن يشيد بعمل الحكومة الفاشية التي قررت فرض إرادتها باستعمال السلاح يقول إن سياستها تتلخص في جملة واحدة « أصبح من الحتم الخروج من الحالة المبهمة السائدة في المستعمرة وأن تفرض إرادة الحكومة على كل جهة ، وأن يكون فرض التسليم والخضوع شرطاً نهائياً Sine qua non لكل عمل سياسي مع الأهالي ، فعلى كل من يباشر أي سلطة حكومية أن يواجه أهل البلاد بهذه الحقيقة التسليم بلا قيد وشرط أو الحرب بلا هوادة » .

وكانت هذه هي السياسة التي نادى بها فولبي والذي وقف من أول الأمر ينادي « بأن حق إيطاليا من الناحية الدولية في امتلاك المستعمرة حق ثابت لا نزاع فيه ، وأن عناد الأهالي ما هو إلا ثورة يحركها بعض الرجال المتعطشين للسلطة تقودهم أطماعهم الذاتية فليس هناك روح قومية أو حركة وطنية تحركها عواطف عالية أو روح جماعية ، وإنما هناك أطماع وأغراض وأهواء : فلنضرب ضرباً قاسياً » وهل وجد المستعمرون في مدغشقر وفي أندونيسيا غير هذا المنطق ؟

وجاء جرازياني ينفذ خطته لاحتلال فزان على طريقته الخاصة وإلا فانظر إلى تعليماته للوحدات التي يقودها : فهي تعبر عن نفسية يجدر بنا تتبعها :

١ — توزع قوات الاحتياطي على أنحاء الجبهة بطريقة تمكن من الاستفادة منها بغير إضاعة وقت ولكي يسهل تجميعها واستعمالها إذا احتاج الأمر إليها لضرب العدو ضربات قاصمة .

٢ — تقسم الجبهة إلى أقسام ، وأن يتولى كل في دائرته مطاردة العدو بواسطة أفواج متحركة Colonne mobibe تبدأ عملها من نقط ارتكاز مختلفة ومتباعدة ولكنها متجهة في سيرها إلى غرض واحد — أو تظاهر أنها متجهة لأغراض متعددة في وقت واحد مع تلاقيها عند هدف واحد ، وبذلك تتوزع قوات العدو المتجمعة أو تتفرق أو تثبت في أماكنها .

٣ — يراعى أن تستعمل الوحدات على أساس العمل على جبهة واسعة الأطراف ، أي تعمل كل واحدة على أنها مستقلة تماماً في تحركها إلى أبعد مدى وتترك كل قواعد وأساليب التعبئة القديمة ، وتعتمد الوحدات على مرونتها في الحركة والتقدم والعودة بدون أن تلجأ إلى طلب مساعدة الوحدات الأخرى : يفهم من هذا أنه اتبع نظام دوريات دائمة متحركة بانتظام(١) .

وقد تبين من كتابته رأيه في المقاتلين العرب ، فهو لا ترهبه كثرتهم العددية بل يقرن النصر بالقرار الحازم والتقدم للهجوم ،

(١) وهو ما اتبعه الصهيونيون في منطقة النقب .

فالمهم لديه اكتشاف أماكن تجمع الثوار ومهاجمتها بغير تردد ويوصى بأنه عند التلاقى يجب إشغال العدو وقبول المعركة ، فإذا حاول العرب الانسحاب لا تتركهم قوات الجيش ولا تمكنهم من الراحة واستعادة شجاعتهم ، بل يجب مع انسحابهم إصابتهم مادياً والفتك بهم حتى تفنى قوة المقاومة لدى العدو ولا يستطيع استعادتها .

ثم عاد فقرر « أنه لا يصح احتقار شأن الثوار ، بل يحسن إعطاؤهم ما يستحقونه وليذكر الطليان أن عزيمة العرب وإن بدا مظهرها قوياً فى البدأ إلا أنها لا تستند على قوة دافعة مستديمة ، ولذلك تضعف وتهبط فى النهاية فالمقاتلة من الثوار لا يسعهم أن يصمدوا فى المعركة طويلاً أمام قوات نظامية مدربة تدريباً أوربياً »

ويهمنا أن نتعرف إلى جميع آرائه فينا فهو يتكلم بصراحة ويوسعنا أن نصلح أخطاءنا دائماً إذا اطلعنا على مايكتبه عنا أمثال هؤلاء ويقرر « أن حاجات العرب فى الميدان محدودة . ولذلك لديهم مقدرة فائقة على جمع وسوق قوات كبيرة واستعمالها فى ميادين مختلفة والعربى مقاتل بغريزته وطبعه فهو لا يهاب المواجهة ولا يخشى التصادم ، ويعتمد على عاملين : مقدرته على التضليل ليصل إلى توزيع القوة التى أمامه وتفرقها حتى لا تعمل كوحدة متكاتفة وقوية ثم يعتمد على المؤثرات الافريقية التى تصيب الجيوش الأوربية وتسبب لجنودها التعب والإعياء حينئذ يضرب ضرباته » .

ثم يعقب هذا بقوله : « إنه فى كل مرة من تلجئهم الظروف إلى مواجهة حالة قتال تقرب من أساليبنا الأوربية ، ويتحتم عليهم قبول المعركة يدب الخلل فى صفوفهم ثم يسهل لنا التفوق عليهم لعدم تمكنهم من الوسائل الفنية المديدة التى بين أيدينا » على ضوء هذه التعليمات الصريحة قاد جرازيانى جنوده فى العمليات التى سبقت فتح فزان وهى عمليات بوليسية على حد تعبير إخواننا الهولنديين حينما يتحدثون عن جهاد الشعوب

وفى هذه الأثناء جاء بادوليو إلى ليبيا وتولى سلطتى الحاكم العام والقائد الأعلى « وكان هـذا فى نظر جرازيانى فتحاً جديداً عبر عنه بقوله « بعد عشرين عاماً من التلكؤ والتردد والهزائم تسلم الأمور ليد عسكرية وتضع لأول مرة برنامج منسجم جامع روعى تطبيقه بإرادة قوية » .

وبهذا انتقلت السلطات العليا ليد العسكريين ، فأمر بأن تكتب هذه العبارة وتعلق على بابه « ليس لدى هذه القيادة خزينة لدفع مرتبات » . وذلك لاعتياد الحكومة الإيطالية على توزيع مرتبات نقدية وهدايا وأسلحة وذخيرة وقال إنه رفض من المبدأ الدخول فى مفاوضات أو إعطاء مواثيق أو وعود ، وصرح فى كل مناسبة أن الحكومة تريد أن تعرف من هم أصدقاؤها ومن هم أعداؤها وأخذ يترنم بمقطوعة من شعر فرجيل الشاعر الرومانى .

tu regere imperio populos Romano menuto
Parcere subjectus et debellare Superbus

وتعريبه « تذكر أيها الشعب الرومانى أنك ستدعى إلى حكم الشعوب فاعف عمن يلين لك واخضع الأقوياء لسلطانك » .

وهكذا نرى أن فزان فتحت لنا آفاقاً بعيدة نطل فيها على حوادث متعددة ونتعرف فيها على نفسية القواد وغرورهم ورأيهم فينا :

فلنقف قليلا لنحدد أثر الحوادث وتسلسلها التاريخى فى فاصل قبل الدخول إلى القاطعة وحروبها الحديثة .

فنحن نعلم أن فزان كانت مستقلة تحت حكام من أمراء بنى خطاب من قبائل الهوارة كما حكمها ملوك من السودان ولا تزال بقايا قصورهم وقبورهم قائمة . ونحن نذكر نقلا عن صاحب تاريخ طرابلس الغرب المسمى التذكار « حوادث عن أمراء فزان » فى ولاية سليمان داى التركى وحروب صاحبها المنصور بن الناصر ابن المنتصر ورفضه دفع الأتاوة وعراكه مع الوالى ثم حروبه وعودته وشكوى أهل فزان للسلطان أحمد بن السلطان محمد ابن مراد بن سليم بن سليمان فهذه حوادث تتكرر فى كل عصر حتى عصر عبد الحميد . وكان أن أصبحت فزان منفى لرجال الأحرار من الأتراك فى عهده والغريب أن يلجأ حكام روما الفاشيين إلى فزان والكفرة لفرض الإقامة الجبرية على فريق من أعداء العهد الفاشى ، فإذا جنود فرنسا حرر بعضهم وكان قد مضى عليهم سنوات وهم مبعدون من أوطانهم .

انذكر بعد ذلك أن إيطاليا جمعت فى أواخر سنة ١٩١٣ حملة قوامها ١٢٠٠ جندياً إيطالياً ووطنياً تحت قيادة الكولونيل ميامى ووجهتها من طرابلس إلى الجنوب واحتلت المراكز الهامة

حتى وصلت إلى مرزوق ولكن هذا الاحتلال لم يدم طويلا كما ذكرنا ففي نهاية عام ١٩١٤ انسل الطليان منسحبين إلى الشمال تاركين الجنود الوطنيين وحدهم فدخل فزان السنوسيون مع حلفائهم من الطوارق وأقاموا بها حكما لم يدم طويلا لأن الأتراك أعدوا الكرة فزحزحوا السنوسيين عنها وعينوا إحسان ثاقب متصرفاً للاقليم وجعلوا الدعو خليفة زاويه في وظيفة محاسبجي المتصرفية حدث هذا في سنة ١٩١٧؛ ثم تولى الأخير السلطة في نهاية سنة ١٩١٨ ولما غادر الضباط الأتراك البلاد بعد عقد الهدنة — ثم ساد عهد من الفوضى والتنازع بين الأخير وجماعة سيف النصر وشيخ يدعى عبد النبي انتهى باستيلاء الأخيرين على مرزوق وطرد خليفه من المقاطعة فلجأ الأخير إلى الطليان وهو بحالة يرثى لها فأعطاه جرازياني نزلا وخادماً ووعده بأن يستخدمه في فتح فزان .

وضعت خطة الفتح بناء على إرشادات المارشال بادليو وروعيت فيها منتهى الدقة بحيث لم تتجاوز اعتمادات الصرف ٢١ مليون ليره إيطالية أي ما يقرب من ٢٠٠ ألف من الجنيهات المصرية يدخل فيها تكاليف تعبيد الطريق لغاية سبها وإصلاح الطريق من سبها إلى مرزوق ثم منها إلى غات على الحدود الفرنسية .

تم كل هذا ابتداء من النصف الأول لسنة ١٩٢٩ وتحدد شهر ديسبر لابتداء العمليات الحربية التي وضعتها القيادة العامة في طرابلس من ناحية تعبئة القوات المكلفة بالفتح وتهيئتها وإمدادها بعربات النقل وكل ما يتعلق بمراكز التموين والتجمع ونظام سوق الجيش وتركت على عاتق جرازياني الناحية الفنية ناحية اختيار الضباط وتدريب القوة المكلفة بالزحف .

فحصر همه في اختيار أعوانه ووضع لذلك شروطاً ألزم نفسه باتباعها فاشترط .

١ — أن يكون الضابط على خلق قيم وجرأة وإرادة .

٢ — أن يكون من المتحمسين للأمور الاستعمارية .

٣ — أن يكون من الذين يتحملون المشاق ويرضون بالتخشن في العيش .

ولما عرف كيف ينفق ضباطه فرض هذه الشروط على ضباط الصف ثم أخذ يختبر معلومات ومقدرة رجاله ففرض على القوة القيام بتمرينات متعددة على خاصيات حرب الصحراء واهتم بوسائل الارتباط والمخابرة مع الطائرات حتى يسهل الاتصال بين الوحدات وبعضها وبينها وبين القيادة وطبع كتاباً مختصراً عن فزان وأحوالها ووزعه على الجنود وضباط الصف وأخذ في تحضير خريطة مفصلة على أحدث ما وصل إليه علم السلطات من طبيعة الأرض والمناطق وأسماء البلاد والمسافات التي تفصلها .

ولم ينس خليفة زاويه الذي انضم مع الطليان على رأس مفرزة من الوطنيين ومعه مهدي موسى للانتقام من أعدائهما في مرزوق وتحركت القوات في نهاية شهر أغسطس وقاتلت جماعة من المجاهدين تحت قيادة سيف النصر واحتلت واحة براق الواقعة على طريق سبها .

ولما وصل خبر احتلالها إلى طرابلس أصدر بادوليو أمره بالتقدم إلى مرزوق وأن تكون المقدمة مكونة من فوج من السيارات المدرعة ومعه كتيبه من جنود ارتيريا تحملها السيارات وتتبع كل هذا قافلة تحمل ما يكفي لمدة شهر من المؤن والذخائر ولما وصلت الحملة إلى براق وجدت أن سبها قد سقطت في يد خليفة وبهذا أصبح الطريق مفتوحاً إلى مرزوق .

يقف الطليان هنا موقفاً خاصاً يشيرون فيه إلى أخطائهم الماضية فهم يدرسون عمليات سنة ١٩١٣ ويقررون أن أسلافهم لم يفكروا في حماية مواصلاتهم [1] وكان تقدمهم لاحتلال مراكز العدو دون التفكير فيما تتعرض جنودهم إذا تركوا جيوباً للعدو يشن الغارة منها عليهم وكان أن سقطت حامياتهم وعزات واحدة تلو الأخر ويكشف جرازياني عن فكره بقوله « إن هذه الأخطاء لن تتكرر مرة أخرى » ولذلك ترك الزعماء الوطنيين يتقاتلون في فزان . حربهم الداخلية الفانية التي تحضر لرق رؤوسهم وأخذ يستعد لحملة واسعة النطاق وكان ذلك في الشهور بين نهاية أغسطس و ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٢٩ حيث وصل لجأة إلى سبها وأصدر تعليماته التي تتلخص في .

١ — اتمام تطهير الجزء الشمالي بأكمله واحتلال براق وسبها بالقوات النظامية .

٢ — السير مرة واحدة إلى واو الكبير على طريق مرزوق — الكفرة ومنها كانت الحملة التي وجهها العابد إلى سبها سنة ١٩١٤ .

(١) ظهرت هذه الأخطاء في حملة فلسطين ١٩٤٩

حول مشكلة السكان فى مصر

للأديب محمد محمد على

إن دراسة السكان على جانب كبير من الأهمية للباحث الاجتماعى ، وذلك لوجود علاقة متبادلة بين تكوين وحجم المجتمع من جهة ، وبين النظم الاجتماعية والمظاهر الحضارية من جهة أخرى . وعلى ضوء هذه الدراسة توضع خطط إصلاح المجتمع .

والسكان فى العالم موزعون توزيعاً غير صحيح ، لأن هناك عوامل كثيرة تؤثر فى هذا التوزيع ، وأهمها المظاهر الجغرافية والموارد الطبيعية والتحسينات البشرية .

وفى مصر يتجمع السكان (تسعة وتسعون فى المائة منهم) فى جزء صغير لا تتجاوز مساحته خمسة وثلاثين كيلو متراً مربعاً ، فتبلغ كثافة السكان ٧٥٠ نسمة فى الكيلو متر المربع على اعتبار أن عدد السكان قد وصل تسعة عشر مليونا . وتختلف هذه الكثافة فى جهات القطر المختلفة ، وتبلغ أقصاها فى المنوفية : أشد المديريات إزدحاماً ، إذ تزيد الكثافة على ثمانمائة نسمة . ولا عجب فى هذا الازدحام فإن اعتماد الأهالى على الزراعة .

ومن مقارنة التعدادات المتتالية يتبين لنا أن عدد السكان فى مصر قد تضاعف فى نصف القرن الأخير إذ زاد من تسعة ملايين وسبعمائة نسمة فى عام ١٨٩٧ إلى تسعة عشر مليوناً فى عام ١٩٤٧ حيث بلغ متوسط الزيادة ٢٪ فى السنة . وهذه زيادة كبيرة لا تتناسب وزيادة الموارد الطبيعية : وذلك هو أصل الداء وأس المشكلة . فإن المساحة المزرعة لم تزد فى هذه الفترة إلا حوالى ثمانمائة ألف فدان إذ بلغت فى عام ١٩٤٥ خمسة ملايين وسبعمائة ألف . وليس من شك فى أن هذه الزيادة الكبيرة فى السكان تؤدى إلى انخفاض مستوى المعيشة ، لكنها زيادة فى طبقات معينة ألا وهى الطبقات الدنيا ، لأنها لا تزال تعتقد أن فى زيادة السكان خيراً وبركة ، اعتماداً على قول الرسول الكريم (ص) « تناكحوا تناسلوا فإنى مباه بكم الأمم يوم القيامة » ثم لطبيعة الفلاحين فى حب النسل الكثير . ومن جهة أخرى نجد أن الطبقات المثقفة والعليا تستخدم وسائل ضبط النسل بنجاح كبير لدوافع اقتصادية وصحية وثقافية . إذن فالطبقات الدنيا هى التى يتخفض مستواها من هذه الزيادة ، وهم سكان الريف المهمل فى شتى الخدمات الاجتماعية .

وتعتبر الملكية المقاربة عماد النظام الاقتصادى الزراعى فى مصر . فقد بلغ عدد الملاك فى عام ١٩٤٥ : ٠٠٠ ر ٦٠٠ ر ٢

---

٣ — الهدف الأخير احتلال مرزوق — أوبارى — غات لحدود الصحراء الفرنسية .

إن القصد النهائى هو أن تتطور المركة على شكل ديناميكى وينتهى للوصول إلى احتلال نهاية الحدود السياسية وإخضاع أبعد المناطق مما لا يتصور العرب أن فى وسع الحكومة الإيطالية الوصول إليها [1].

وقد نفذت هذه الخطة التى كان الكثمان رائدها بحذافيرها تامة فاستولت إيطاليا على واو الكبير ومرزوق وفى ٣٥ فبراير سقطت غات التى غادرها الثوار منسحبين إلى داخل الأراضى الفرنسية وفى ٣٠ مارس تركت مفرزه من قوات البادية مراكزها فى فزان متجهة جنوبا فاحتلت جبال طمو فى ٢ إبريل أى على بعد ١٥٠٠ كيلو مترا من الساحل وأتمت حركتها بأن عادت إلى مراكزها عن طريق بئر الوعر وبقيت إيطاليا تسيطر على فزان حتى قامت الحرب الأخيرة . أليس فى ذكر هذا مايحرك فى النفس أشياء؟

نعم لقد انتهى عهد إيطاليا وانتهى جراتزيانى وسلمت جيوشه فى صحراء مصر ولكن الدروس التى ألقاها علينا فى زحفه إلى فزان تستحق العناية أو تنبهنا إلى بعض الأخطاء التى وقع فيها أسلافنا أو وقعنا نحن فيها ألم يكن من الأوفق لنا أن نعرف أساليب الخصم الماتى وأن الاستعمار مجموعة تجارب والحروب سلسلة من الدروس القاسية والفرص تأتى ولا تعود .

والآن انتقل إلى الحلقة الأخيرة لفزان وهو احتلال فرنسا لهذا الإقليم :

(النهاية فى العدد القادم) أحمد رمزى

(١) قارن هذا بعمليات اليهود فى النقب وخليج العقبة ١٩٤٩ .

أي ١٥٪ من السكان . فإذا فرضنا أن كل مالك يعتبر رباً لأسرة قوامها خمسة أفراد ، فإن عدد من يعتمد على الزراعة من سكان القطر كمورد رزق يبلغ نحو خمسة وسبعين في المائة من جملة السكان . ومن هؤلاء الملاك سبعون في المائة يقل ما على الواحد منهم عن فدان ! ولا جدال في أن الفقر يؤدي إلى سوء الصحة ، بالإضافة إلى الجهل الضارب أطنابه نرى أن ثمانين في المائة من سكان مصر الحديثة يعيشون عيشة ضنكا ! وهذا أمر عجيب في بلد ذي مناخ معتدل وموقع ممتاز ، وهو يعد مهد أقدام حضارة أضاءت بنورها ظلمات العالم . وهنا نتساءل : هل يؤدي ازدياد السكان إلى انخفاض مستوى المعيشة ؟ ولكل سؤال جواب كما يقول جميل لصاحبته . فما ينبغي أن نتشاءم كما تشاءم ملتس Malthus (١٧٦٦ — ١٨٣٤) في انجلترا ، فقد حذر مواطنيه من كثرة التناسل وحثهم على تأخير الزواج مع حياة العفة . وحينما تغيرت الأحوال ونهضت الصناعة في القرن التاسع عشر ، زاد عدد السكان زيادة فائقة استجابة لزيادة الوارد ، ولم يصحب ذلك انخفاض في مستوى المعيشة .

قد يقال إن أمام المصريين أرض الله واسعة فليهاجروا إليها ، ولكنما المصري قد تعود التعلق بأرضه منذ القدم ؛ ثم إن الهجرة ليست بالأمر الهين السهل ؛ لأسباب مختلفة وظروف متباينة . وقد يقال إن ضبط النسل هو الحل الصحيح ، ولكنه غير ممكن من الناحية العملية إذ أن وسائل ضبط النسل قلما تلاقي نجاحاً عند الطبقات الدنيا كما أشرنا من قبل ، مع أن المجتمع لا يرغب في زيادتهم الكبيرة ، وذلك بعكس الحال عند الطبقات المثقفة والعليا التي توسعت في استخدام ضبط النسل مع أن كثرة نسلهم ليس منها ضرر ، إذ أن في إمكان هذه الطبقات أن تربي الأطفال مهما كثروا تربية حسنة . إذن فعلاج الحال نجده في الموارد الطبيعية .

ففي الناحية الزراعية يمكن زيادة الأراضي المنزرعة وذلك بإصلاح الأراضي البور وبواسطة مشروعات الري مثل مشروع وادي الريان وغيره والاهتمام بطرق الزراعة والعناية بأنواع النباتات وتحسينها ، مع ملاحظة قانون الغلة المتناقصة وهو أن للأرض حداً في الإنتاج لا تتعداه مهما أجري من وسائل التحسين والإصلاح ، وكل زيادة في الإنتاج يحصل عليها بأكثر من زيادة متناسبة في الأيدي العاملة .

ويرى سعادة حافظ عفيفي باشا أن هناك أربع وسائل لرفع مستوى المعيشة في مصر[1] :

١ — قيام الشركات المساهمة .

٢ — رفع الرسوم الجمركية على الموارد الأولية والآلات .

٣ — العناية بأجور العمال وتحسينها .

٤ — تشجيع التصدير إلى الخارج .

وهناك غير ذلك من وسائل رفع المستوى الاقتصادي للشعب مثل الضرائب التصاعدية وتأميم المشروعات والتصنيع الريفي والتوجيه المهني للنشء ... ومن وسائل رفع المستوى الصحي مثل العناية بمياه الشرب والمساكن الصحية وإنشاء المستشفيات والتأمين الصحي للسكان وتشجيع الجمعيات الخيرية . والاهتمام بالتعليم ونشر الثقافة الشعبية ومحو الأمية لرفع المستوى الثقافي . هذا مع العلم بأن هناك ارتباطاً بين النواحي الاقتصادية والصحية والثقافية ؛ فلا صحة للقول الشائع بأن نبدأ في القضاء على الأعداء الثلاثة الفقر والمرض والجهل واحداً فواحداً ، مع أن المشكلة واحدة وينبغي علاجها من كافة الوجوه .

ولا يدلنا من أن نسجل بالفخر في هذا المقام ما قامت به حكومة الفاروق أعزه الله من جهود في سبيل رفع مستوى الشعب بمختلف الوسائل .

والخلاصة أن ازدياد السكان لا يؤدي إلى انخفاض مستوى المعيشة ما دامت هناك إمكانيات لزيادة موارد الغذاء ، إلا أن هناك ضرورات تستوجب استخدام وسائل ضبط النسل مثل عدم ملاءمة الحالة الصحية أو اشتغال المرأة بالأعمال المختلفة وغير ذلك . وينبغي أن نتذكر دائماً فرنسا التي ما زالت تعاني خطر قلة عدد سكانها ، إذ استخدم ضبط النسل في أول الأمر كعلاج للمشكلة عندهم ، ثم بمضي الزمن أصبح ضبط النسل من تقاليد السكان الذين لم يستطيعوا التخلص منه رغم إغراءات الحكومة المختلفة لزيادة النسل . مع أن المقصود بضبط النسل فيما نرى هو مراعاة مقتضى الحال في الزيادة والنقصان .

محمد محمد علي
قسم الجغرافيا بجامعة فؤاد

(١) جريدة المصري ١٩٤٩/٢/١٥

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

توفيق الحكيم فى ميزان الفن والنقد :

الرأى الذى كونته لنفسى عن فن توفيق الحكيم قبل أن أعرفه ، هو الرأى نفسه الذى انتهيت إليه بعد أن عرفته . كل ما حدث هو أن معرفتى به قد زادتنى اقتناعاً بهذا الرأى وإيماناً به . أما هذا الإيمان فقد قام على دراسة بعيدة المدى لفنه أولا ولشخصه ثانياً ، وأستطيع أن أقرر وأنا مطمئن أن كل ما أكتبه هنا — فى رأيى على الأقل — يتسم بسمة المعرفة ، والصدق ، والثقة التى تستمد عناصرها ومقوماتها من الواقع الملموس .

أول مزية من مزايا هذه الشخصية الفنية أنها من الشخصيات النادرة التى تتمتع بحظ كبير من القلق النفسى ، وهو أول أداة من أدوات كاتب القصة . . . ومن طبيعة الشخصية القلقة أنها تثير دائماً ألواناً من « الصراع الفكرى » فى ثنايا القصة والمسرحية ، وكلتاهما تعتمد أول ما تعتمد على هذه الدعامة الفنية الفذة ، وأعنى بها « الصراع » ! القلق الدفين والشك الملح صفتان تجريان بجرى الدم فى طبيعة توفيق الحكيم النفسية ؛ ومن هنا تجد شخصيته القلقة منعكسة بوضوح فى أكثر ما يكتب ، ويستطيع الذين لم يتصلوا بهذا الكاتب ، ولم يتهيأ لهم أن يعرفوه معرفة خبرة ودراسة ويقين ، أن يلتمسوه هناك فى كثير من شخصيات قصصه ومسرحياته ... إنها شخصيات حائرة ، قلقة ، مترددة ، يندر أن ينتهى بها المطاف إلى استقرار . وهكذا تجد توفيق الحكيم فى واقع الحياة ؛ يعيش فى دنياه هو لا فى دنيا الناس : فى تأملاته ، فى تهويماته ، فى سبحاته الروحية ؛ وهو لهذا كله يثير فى فنه أشتاتاً من المشكلات الفكرية العميقة التى تحفل بالصراع ، ولكن أى صراع ؟ إن توفيق الحكيم يذهب فى مقدمة «أوديب الملك » إلى أنه يقيم الصراع دائماً على دعامتين : الواقع والحقيقة ، أى أنه يترك أبطال قصصه ومسرحياته فى خضم من « الصراع الفكرى » الذى تتجاذبهم فيه أمواج الواقع من هنا وأمواج الحقيقة من هناك . . هذا حق ولكنه ليس كل الحق ؛ إن فى بعض مسرحياته صراعاً بين الواقع والخيال ، وقد يبدو الخيال لبعض الواهمين ضرباً من الحقيقة ، كما حدث لبعض شخصيات توفيق الحكيم فى « شهر زاد » و « سليمان الحكيم » !

وسواء أكان الصراع فى « أهل الكهف » و « أوديب الملك » صراعاً بين الواقع والحقيقة ، أم كان صراعاً بين الواقع والخيال كما حدث فى « شهر زاد » و « سليمان الحكيم » ، سواء أكان هذا أم ذاك فإنك تخرج من هذا « الصراع الفكرى » بظاهرة فنية ملموسة ، وهى أن شخصيات توفيق الحكيم القصصية تفر من الواقع هنا وهناك . . . ومرة أخرى تجد هذا الفنان منعكساً بلحمه ودمه على صفحة فنه ، لماذا ؟ لأن هذه هى طبيعته النفسية والفكرية ؛ لقد قدر له أن يلقى الحياة بهذه الطبيعة العجيبة ، يلقاها ليفر منها ، جرياً وراء الحقيقة أو جرياً وراء الخيال !

« الصراع الفكرى » هو السمة الغالبة على آثار توفيق الحكيم الفنية ، أما « الصراع النفسى » فلن تجد منه إلا ومضات لا تلبث أن تشع حتى تختفى ... فى هذا التيه من التأملات الفكرية والتهويمات الذهنية ، وتستطيع أن تلمس هذا بوضوح فى « أوديب الملك » ؛ لقد حاول توفيق الحكيم جاهداً أن يتخلص من هذه الظاهرة التى تفرض نفسها على فنه ليتمتع بتمثيلية موفور كل عن حيز « المسرح الذهنى » ولكنه لم يستطع ... من هنا تنبع شكواى من فن توفيق الحكيم ؛ شكواى من انعدام « الصراع النفسى » ! إن أول مزية من مزايا هذا الصراع هى أنه حين يرسم لك الخطوط الرئيسية فى مشهد من المشاهد أو فى شخصية من الشخصيات ، يجعلك تعيش بفكرك وشعورك فى محيط هذا الجو الذى تمتزج به ويمتزج بك ، فإذا أنت متجهم فى جو المشهد القاتم والشخصية العابسة ، وإذا أنت منطلق الأسارير فى جو المشهد الوضىء والشخصية الباسمة ... لهذا كله لم يهزنى « أوديب » فى محنته ؛ أوديب الذى تحالفت عليه المقادير فقتل أباه وتزوج من أمه . وكذلك لم تهزنى « جوكاستا » الشقية البائسة ؛ جوكاستا التى تنجاب عن عينيها الغشاوة يوماً فترى أن الزوج هو الابن ، وأن الأطفال الأحباء قد خرجوا إلى الحياة ، كما خرج أبوهم من قبل ... خرجوا جميعاً من بطن واحد !

هذا النقص فى « الصراع النفسى » تحل محله موهبة أخرى فى « الصراع الفكرى » ، ولولا هذه الموهبة الفذة لما ملىء هذا الفراغ فى فن توفيق الحكيم ... إن طبيعته القلقة قد انعكست

على شخصيته الفنيـة فأكسبتها فيضاً من المزايا التي لا تجتمع كثيراً لغير هذا الفنان : منها هذه الحرارة المتدفقة التي يضفيها على فنه إشعاع ساطع من عنف الصراع ونفاذ التأملات ، وتلك الحركة الجياشة التي تشيع في ثنايا المواقف النابضة بالحيوية والانطلاق

ومع ذلك فأنا أرجـو من الذين قرأوا « أوديب الملك » وغيرها من المسرحيات التي يطبعها طابع « الصراع الفكرى » أن يرجعوا إلى « سليمان الحكيم » ... إنهم سيلمسون ظاهرة فريدة لا عهد لهم بها في فن توفيق الحكيم . ظاهرة وقفت عندها وأطلت الوقوف ، ودرستها في كثير من التأمل وإنعام الفكر ... « صراع نفسى » وهذا هو العجب ، «وقلب إنسانى» وهذا هو الأعجب! ترى أكان توفيق يوم كتب «سليمان الحكيم» يعيش في نفس التجربة التي صورها بريشته لقلب « بلقيس » حين خاض هذا المعترك الرهيب بين حب «منذر» وجاه «سليمان» ؟ أكاد أقطع بصحة هذا الظن ، وإلا لما استطاع توفيق الحكيم أن يهزني كل تلك الهزات الشعورية العميقة في هذا العمل الناضج من أعماله الفنية ؛ أقول « هزات شعورية » لأن العهد بتوفيق الحكيم أنه في أغلب آثاره لا يهز قارئه إلا « هزات فكرية » ! ...

« سـليمان الحكيم » في إنتاجه كله تقف وحدها متفردة بأكمال « الصراع النفسى » وقوة النبضات في القلب الإنسانى ، وحكم التفرد أمر لا يقاس عليه إذا ما أقمنا الميزان للشخصية الفنية على مدار إنتاجها كله ؛ ومعنى هـذا أننى أعود فأكرر بأن « الصراع الفكرى » هو السمة الغالبة على آثار توفيق الحكيم الفنية ... الهمسة في فنه تنبع من الشفتين لا من القلب ، واللمسة في فنه تأتى من الذهن لا من النفس ، والانفعال في فنه يصدر من إطالة التأمل لا من جيشان العاطفة . وهذا هو توفيق الحكيم في واقع الفن وواقع الحياة ! .

تعال بعد ذلك أحدثك عن موهبـة أخرى في فن توفيق الحكيم هي موهبة الحوار — قد تقول لى إن توفيق الحكيم ينطق شخوص قصصه ومسرحياته في بعض الأحيان بما يبعـد عن أن تنطقهم به الحياة . إننى أوافقك على ما تقول ، ولـكنك لا تستطيع أن تنكر أنه يدير دفة الحوار بمهارة فائقـة تنسيك هذا الجانب الذى يلوح منه شبح الاعتراض . ولا تستطيع أن تنكر أيضاً أنه قصاص قادر على الانفعـال في تلك المواقف التي تتطلب دفقات هائلة من السرعة والحركة وحرارة التعبير ، وتلك مزية تنقص الكثيرين من كتاب القصة !

أما الموهبة الأخيرة التي تهزني في فن توفيق الحكيم فهى أن القصة بين يديه تمتاز بـ « التصميم الفنى » ... إنه يعرف كيف تبدأ القصة ، وكيف تسـير . وكيف تنتهى ، دون أن يكون هناك شذوذ أو اضطراب في هذه المراحل الثلاث ؟

هذا هو كل ما يمكننى أن أقدمه إلى الأستاذ محمد عادل الرصفاوى في حدود المجال الذى طلب إلى أن أكتب فيـه ، وإننى لأرجو أن أكون قد وضعت بين يديه مفتاح هذا الباب الموصد أو مفتاح هذه القلعة المغلقة ... على حد تعبيره حين كتب إلى مشيراً إلى شخصية الأستاذ توفيق الحكيم الأدبية والإنسانية!

كرافتشنكو ينتصر على مجلة « ليتر » الفرنسية :

أخيراً وبعد نضـال مرير عاصف عنيف شهدت أدواره جوانب قاعة المحكمة بسراى العدل في العاصمة الفرنسية ، أصدر القضاء حكمه في صالح الكاتب الروسى الثائر على نظام الحكم في بلاده ... فيكتور كرافتشنكو ! وبهذا الحكم الفاصل بين صاحب « آثرت الحرية » وبين القائمين على أمر مجلة «لى ليتر فرانسيز» ، تنهار أدلة الاتهام التي وجهها خصوم الكاتب الروسى إلى حقيقة كتابه وما حوى من وقائع ومعلومات ! .

إنها لطمة قاسية من غير شك ، تلك التي وجهها القضاء الفرنسى منذ أيام إلى الشيوعية الروسية الفرنسية ... وأية لطمة أقسى من أن يصدر حكم القضاء مؤكداً نسبة الكتاب إلى صاحبه ، ومؤيداً لكل ما تضمنه من بيانات أوردها كرافتشنكو ليدلل بها على فساد نظم الحكم في بلاده ، تلك النظم التي تحد من حرية الرأى والفكر ، وتلغى الكرامة الفردية والعقلية وكل ما ينشده الأحرار من مثل في المجتمع الكريم ؟!

إن كرافتشنكو يخرج اليوم مرفوع الرأس ، بعد أن حكم له القضاء بتعويض قدره خمسون ألف فرنك عن الجزء الأول من الدعوى التي رفعها على المجلة الشيوعية الفرنسية ، وبعد أن حكم له بتعويض آخر مماثل للتعويض الأول في مقابل الجزء الثالث من الاتهام ... أما مسيو كلود مورجان مدير المجلة ومسيو أندريه ورمستر رئيس تحريرها فقد قضت المحكمة بتغريم كل منهما مبلغ خمسة آلاف فرنك ؛ ومع إلزامها بنشر هذا الحكم في أول صفحة من صفحات « ليتر فرانسيز » ... بمجانها الأسبوعية !!

هـذا هو ما وافتنا به شركات الأنباء من آخر مرحلة من

مراحل هذه القضية المثيرة ، ولكن هيئة الدفاع عن مجرى المجلة الفرنسية تمد المدة لاستئناف هذا الحكم في الأيام المقبلة ... ومعنى هذا أن هناك فصلا أخيراً يهم النظارة أن يشهدوه !.

« كافر » للشاعر السوري زهير ميرزا :

هذه مجموعة شعرية تستحق تحية القلب وتحية القلم .. قال صاحبها وهو يتفضل مشكوراً بإهدائها إليّ : « أقدم إليك هذا الشعر ، صدى لكلمتك (تحية قلبية وأخرى قلمية) ، التي لولاها ولولا الرسالة ما تم مثل هذا اللقاء الفكري الذي أرجو أن يكون فاتحة صداقة متسامية ، رائدها الكفر بالمفاهيم للايمان بها » ! ... إهداء فيه تحليق وشعر فيه تحليق ، وأنا أحب أن أعيش في أجواء المحلقين من أمثال زهير ميرزا ، سواء كانوا كتاباً أم شعراء .

أجمل ما في هذه المجموعة الشعرية أن زهير ميرزا يصب شعره في قالب من الحوار الفني الذي يدور حول فكرة ، تنبع من أعماق الشعور لتحلق على أجنحة الخيال ... ولا أقول إن الفكرة جديدة ، ولكن الجديد فيها هو تلك اللقطات البارعة التي تجيد اختيار الزاوية في مجال الإخراج الفني للصورة النفسية ؛ تلك التي يتسع لها إطار التعبير ولا يزيد !

صورة من النفس يلفها وشاح من ومضة الفكر ، وإذا أنت في « الحقيقة الكبرى » مأخوذ بصراع العقل والعاطفة بين « قمر » و « شهر زاد » ... هناك حيث تنفر الروح من هذا « الشيء » المادي الذي تبلى جدته في عالم الواقع وتحيا في عالم الوهم الطليق ! وهكذا يمضي زهير ميرزا في « لقاء » و « غانية وفكر » و « كافر » و « مصرع المثال » ... أما « لقاء » فتصوير هذا النضال النفسي الذي يثيره « نداء الأعماق » في طريق قد خلت من كل شيء إلا من فتى وفتاة ؛ أمواج من دعاء الوجدان تعترض سير الشراع الحالم ولا تزال به حتى يغيب تحت أطباق العباب ! وفي « غانية وفكر » يقبل جسد وتعرض روح ... وتحتدم المركة بين اللهب المنبعث من وقدة نار تتأجج ، وبين الفراشة التي تحوم حول النور تبغي الضياء ولا تريد أن تحترق ؛ إن ريشة زهير قد بلغت الغاية في تلوين هذه اللوحة التي تمثل فورة الصراع بين بائعة الجسد وبين راهب الفكر !.. أما « كافر » فتنتقلك إلى ذلك الجو الفكري السابح في أعماق الوجود وحقيقة الحياة ؛ هل تذكر قصيدة « الطلاسم » لإيليا أبي ماضي ؟ إن جناحي زهير ميرزا يضربان في هذا الأفق ضربات عميقة تهز الخيال المحلق فيما وراء المجهول !

إنني لا أريد أن أقدم للقراء بعض النماذج من هذه المجموعة الشعرية حتى لا يغنيهم القليل عن الكثير ، إنني أود أن يرجعوا إلى المجموعة كلها ليقضوا مع الشاعر لحظات جميلة وممتعة كتلك التي قضيتها معه ... أما أنت يا صديقي زهير فيسعدني أن نكون صديقين ، يلتقيان على الكفر بالمفاهيم للايمان بها ، وليس أحب إليّ من هدم يقوم على أنقاضه بناء !!

جوهر النفوس عندنا وعندهم :

نشرت « الصور » في الأسبوع الماضي صورة لصبي أمريكي يجلس بين أكوام من الأوراق المالية ، ثم أشارت إليه بهذه الكلمات : « إنه (بوبا) الفتى المقعد الذي ضاق ذرعاً ذات مساء بوحدته وبالحياة ، فقصد إلى دار الإذاعة في ولاية تكساس بأمريكا ، حيث ناشد المستمعين أن يمدوه ببعض (الدراهم) التي تعينه على الحياة ... وما كادت تنقضي بضعة أيام حتى دعي إلى مقر البريد حيث سلمه مديرها الرسائل التي وردت إليه من أنحاء الولاية استجابة لدعوته . وقد وجد الفتى نفسه غارقاً في أكوام من الرسائل تحمل في داخلها ثروة تقدر بعشرين ألف دولار ، هبطت إليه من السماء » !

هل تستطيع أن تقف معي لحظات لنزن هذا الخبر الذي يحمل إلينا قليلا من الألفاظ وكثيراً من المعاني ؟! ترى لو كان هذا الصبي المقعد في مصر ، وذهب إلى دار الإذاعة ليذيع نداء الحاجة على ذوي القلوب الرحيمة ، ترى ماذا كان يحدث ؟ الشيء الذي أتصوره ولا يمكن أن أتصور شيئاً سواه ، هو أن يهاجم ذوو القلوب الرحيمة دار الإذاعة هجوماً لا « رحمة » فيه ، لأنها سخرت الجهد وأضاعت الوقت في خدمة المقعدين والمتسولين !.. والشيء الذي أتوقعه ولا يمكن أن أتوقع شيئاً سواه ، هو أن تضج الصحف بالشكوى من تفاهة هذا « البرنامج » الذي تفتقت عنه أذهان المشرفين على الإذاعة ، أولئك الذين لا هم لهم إلا إزعاج المستمعين !

ألا ما أبعد الفارق بيننا وبينهم ... هناك قلوب من ذهب وهنا قلوب من قصدير !!

أنور المعداوي

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

العربية تزحف على يد وزير المعارف :

كتب معالى الأستاذ على أيوب بك وزير المعارف ، صفحة جديدة فى تاريخ الكرامة المصرية ، إذ أعز اللغة القومية ورفع لواءها على مكاتب السفراء ورجال السلك السياسى الأجنبى فى الأسبوع الماضى ، حينما أمر بكتابة الدعوات التى أرسلت إليهم لحضور حفل الرشدات باللغة العربية ، على خلاف ما جرت عليه الوزارة من كتابتها باللغة الانجليزية أو الفرنسية .

وهى دفعة من الدفعات التاريخية التى قام بها رجال من رجالنا فى العصر الحديث لنصرة اللغة العربية والتمسك بها ورفع شأنها باعتبارها لغتنا وأن لا شخصية لنا إلا بسيادتها .

ولا شك أن من حقنا أن نكتب بلغتنا لمن نشاء ، ولكن كنا نتسامح ونفرط فى هذا الحق ، ولم يحدث أن عسكنا به واستطاع أحد أن يصدنا عنه ، بل على العكس كنا نتطوع بتمكين الأجانب من إهمال لغتنا لأننا نهملها معهم . وهذا هو السفير البريطانى يرد على دعوة معالى وزير المعارف باللغة العربية أيضاً ، آسفاً لعدم إمكانه تلبية الدعوة لتغيبه بالاسكندرية يوم الحفل . فأين كنا من زمان ؟!

إن اللغة تقوى بقوة أصحابها وتضعف بضعفهم ، وليس هناك لغة حية ولغة ميتة ، فالأحياء والأموات هم الناس .

مدرسة حديثة فى فن القصة :

لا تقر فضل الخير على الشر ، ولا تعترف بفارق بين الفضيلة والرذيلة ، ولا تميز الحق من الباطل ؛ أية نزعة من نزعات الإنسان عندها كأية نزعة أخرى ، لا تقول للص يا لص ، ولا تقول للبطل يا بطل ، لأنه لا جريمة ولا بطولة ، فلكل عمل دوافعه ومقدماته ، وكل ما يأتيه الإنسان أمر طبيعى لا ينبغى الحكم عليه ولا يجوز أن يستنكر .

هى مدرسة حديثة فى فن القصة ، ظهرت فى مصر ، وأعلنت صوتها يوم الأحد الماضى فى نادى رابطة الأدباء ، على لسان الطالب الأديب صلاح حافظ الذى ألقى محاضرة دعا فيها دعوة هذه المدرسة وأعلن ميلادها فى زهو ، ونطاً من فيشر زعيمها الجالس بجوار المنصة يبدو عن سيماء خجل التواضع .

والزعيم أو الكاتب القصصى الأول فى هذه المدرسة الحديثة ، هو الأديب محمد يسرى أحمد ، وأعلام المدرسة وأنصارها والتحمسون لها ، يجتمعون فى واحد هو محاضرنا الأديب صلاح حافظ ، وهما طالبان بالسنة الثالثة بكلية الطب ، إنهما يشرحان الإنسان الحى كما يشرح الإنسان الميت فى قصر العينى . هل يأبه الطبيب القذارات أو يأنف من روائح الجثث ؟ كذلك كاتب القصة يحلل الإنسان كما هو ويتغلغل فى أعماقه ليصورها كما هى ، فإن قلت إن غاية الطبيب المشرح الوصول إلى الحقائق العلمية قالت لك المدرسة الحديثة فى فن القصة إنها لاغاية لها ، فالكاتب يجب أن يبدأ القصة ويسير فيها مع الطبيعة لا يهدف إلى شيء ، فإن قلت إن الطبيعة لا تنتسب طريقها فهذا هو الفارق بين الطبيعة وبين المدرسة الحديثة .

يظهر أننى تأثرت بمذهب هذه المدرسة فى عرض الأشياء كما هى وإبراز الإنسان كما هو ، فإنى أتحدث عنها كما هى ، وإتماماً للخطة أضربت فى هذا الموضوع عن استعمال علامات التعجب لأنها تدل على الانفعال وقد تشير إلى الحكم . وأستمر فى السير على هذه الخطة فأقول :

حدثنا المحاضر صلاح فقال إن المدرسة الحديثة قد اكتسحت كل ما عداها وأحرزت نصراً مؤزرا فى مسابقات القصة المختلفة ففاز يسرى بقصة فى مهرجان الشباب ، وبأخرى فى مسابقة الإذاعة ، وبثالثة فى مسابقة الثقافة العامة ، وفاز هو ، أى صلاح ، بقصة فى المسابقة الأخيرة .

وليس هذا هو كل إنتاج المدرسة الحديثة ، فقد كان ليسرى فى مهرجان الشباب قصة غير التى فازت ، تحدث فيها عن حادثة غرام بين فنان وأخته وحلل العوامل التى جعلت بطل القصة يفتتن بمحاسن أخته ويستمتع بجسدها ثم يقتلها . ولم يعجب ذلك الاتجاه النفسانى فى فن القصة شيوخ الأدب

المحكمين فى السابقة ، فرفضوها وقال إن الأستاذ عبد الله حبيب قرأ هذه القصة ، إذ كان يعمل فى تنظيم المهرجان ، حتى وصل إلى نهايتها وهو لا يشعر أن فيها جريمة ترتكب ، وإنه دافع عنها أمام لجنة التحكيم (وقد سمعت أنا أيضاً ذلك من الأستاذ عبد الله) .

وأنا ما زلت أتحدث على طريقة المدرسة التجريدية ، ولكنى وصلت إلى نقطة أرانى فيها مضطراً إلى الخروج مع المدرسة نفسها عن طريقتها . شيوخ الأدب جامدون لا يقدرون الاتجاه النفسى الجديد لأنه يخالف اتجاههم ، فالشيوخ يتحدثون عن جمال الربيع ولا يهتمون بالإنسان ، فإذا عرجوا عليه لزموا السطوح ولم ينزلوا إلى الأعماق ، كما يقضى بذلك علم النفس ، وكما تفعل ذلك المدرسة الحديثة. وقرأ المحاضر فى هذا المعنى رسالة كتبها يسرى إلى الأستاذ فريد أبو حديد بك، ومن فقراتها « لا يا سيدى . نحن جيل وأنتم جيل » .

ثم أرجع إلى الطريقة التجريدية فأقول : هكذا يقضى الشيوخ بفوز قصص المدرسة الحديثة فى المباريات ، وتمتن المدرسة بذلك ، ثم تهاجم الشيوخ الذين حكموا بفوز قصصها . أقول هكذا فقط ولا أذكر الوفاء ولا الاعتراف بالجميل فليس شئ من هذا فى معجم المدرسة الحديثة فى فن القصة . أما لماذا قضت لجان التحكيم فى المباريات بفوز تلك القصص، فقد قال أحد أعضائها وهو الدكتور إبراهيم ناجى ، فى تعقيبه على المحاضرة : إن القصص التى فازت ، إنما فازت لأن بقية القصص المقدمة تافهة ليس فيها شئ من فن القصة بل هى حكايات و (حواديت) .

وجريا على مذهب تلك المدرسة فى العطف على الضعف الإنسانى وإن جانب الذوق السليم واندفع مع الحيوانية السائمة — لا أريد أن يتجه القلم إلى القسوة على بطليها ، غير أننا نختلف فى أن لرفاق بهما غاية .

إنكما يا ابنى تتعجلان . وإنى وإن كنت لم أقرأ لكما يبدو لى من اللابسات والقرائن أنكما من ذوى الاستعداد ويمكن أن يجىء منكما ، ويدل ما يقول الأستاذ عبد الله حبيب عن قصة عاشق أخته على براعة يسرى فى السياق والحبكة ، ولكن ما أشبه حال الأستاذ وهو يقرأ

كشكول الأسبوع

□ حدد المجمع اللغوى فى اجتماعه الأخير جلسة اليوم الثانى من شهر مايو القادم لإجراء انتخاب بين المرشحين لشغل الكرسيين الخاليين » .

□ بناء على رغبة ملكية سامية ، تعمل وزارة المعارف الآن على تغيير اللوحات المعلقة بواجهة المتحف المصرى والمكتوبة باللغة الإنجليزية متضمنة نبذاً عن الآثار الخاصة ، بحيث يوضع بدلها لوحات مكتوبة باللغة العربية .

□ يبدأ تمثيل مسرحية « الناس » يوم ١٦ إبريل الحالى على مسرح الأوبرا الملكية . وقد أعلن عنها فى الصحف بطريقة « توزيعية » بين المؤلف توفيق الحكيم والمخرج زكى طليمات والممثل الأول يوسف وهبى . ولعل هذه أول مرة يرضى فيها يوسف وهبى بالقسمة العادلة .

□ قدم فريق التمثيل بالأزهر رواية « خالد بن الوليد » على مسرح الأزبكية فى الأسبوع الماضى . ولم يتح لنا الفرصة لمشاهدة باكورة الإنتاج الأزهرى . وهذا تطور مدهش ... فلو نشرهنا الخبر منذ عشرين سنة على سبيل التنبؤ لكان موضع الاستغراب والذى نرجوه أن يكون من وراء هذا الاتجاه إنشاء فن مسرحى إسلامى له خصائص تميزه ويتفق مع الرسالة الدينية .

□ أصدرت لجنة النشر للجامعيين « العدالة الاجتماعية فى الإسلام » للأستاذ سيد قطب ، وهو كتاب يعرض موقف الإسلام من الحياة الإنسانية عامة والعدالة الاجتماعية خاصة . وقد بين المؤلف ذلك أحسن تبيين فدل على ما توافر له من فهم روح الإسلام وروح العصر والقدرة الأدبية على التعبير .

□ وقع اختيار لجنة تشجيع التأليف والترجمة بوزارة المعارف ، على طائفة من الكتب الألمانية والإنجليزية والفرنسية المؤلفة فى العلوم والفنون والآداب لنقلها إلى اللغة العربية ، وعهد بترجمتها إلى طائفة من رجال الجامعتين والمعاهد العليا والأدباء .

□ لاحظت إدارة التسجيل الثقافى بوزارة المعارف أن برنامج الإذاعة الذى ينشر غير مستوف — فيما يتعلق بالأحاديث البيانات المطلوبة لتضمينها السجل الثقافى ، وأن البرنامج نفسه كثيراً ما يتغير عند الإذاعة ، فكتبت عدة مرات إلى إدارة الإذاعة لتوافيها بالبيانات المطلوبة دون أن تتكرم بالرد ... وأخيراً تبين أن لإدارة الإذاعة أذناً من طين وأخرى من عجين ...

□ كشف عالم أثرى مصرى مقابر منطقة سقارة ، ووجد فى إحداها تمثال لكاتب مصرى قديم اسمه « نفركا » ومثالها لطيف الظل .

□ ينعقد المؤتمر الثقافى العربى الثانى بالإسكندرية فى أغسطس القادم .

□ تعمل وزارة المعارف على إقامة معرض فنى بالخرطوم تعرض فيه مجموعة عن أعمال الفنانين المصريين المعاصرين .

القصة غير شاعر بأن فيها جريمة ترتكب ، بمن (نشلت) حافظة نقوده وهو لا يدرى .

إن مناقضتكما للأخلاق الكريمة بهذه الدعوة مناقضة ظاهرة ، وأنتما لا تنكران ذلك ، وإنما تتمسكان بأهداب الفن وأنا لا أدرى كيف يتسق الفن مع مخالفة الذوق السليم وإغفال المثل الإنسانية والانسياق مع الحيوانية البحتة . وما هو الفن الذى يتجرد من العاطفة ؟ إن تحليل الأشخاص وإظهارهم دون انفعال وحكم ، عن طريق التصوير الفنى ، على ما يأتون وما يدعون لا ينتج إلا شيئاً قد يسمى « علم نفس تطبيقياً » أما الفن فلا بد فيه من عاطفة الفنان ، فإن تجرد منها فليس فناً . والعاطفة فى العمل الفنى إما أن تهدف إلى الخير وتتجه نحو الجمال الذى يهفو إليه الذوق الفنى السليم ، أو تنزل إلى الشر وتتدلى إلى القبيح .

أريد أن أفرض فى شأن هذين الشابين أحسن الفروض ، وهو أنهما يتكلفان الشذوذ على طريقة « خالف تعرف » ولا بأس بأن حققت لهما شيئاً من ذلك ، وغاية ما أرجو أن يكون الثمن هدايتهما إلى سواء الأدب القويم .

رسالة من غراب :

تلقيت رسالة كريمة رقيقة من الأستاذ أمين يوسف غراب ، على أثر ما ظهر فى « كشكول الأسبوع » خاصاً بخطأ لغوى فى قصة له بمجلة الأديب ، قال الأستاذ فى رسالته « أما الخطأ الذى تفضلتم بالإشارة إليه فأنا أعترف به ، ولا أريد أن أحمل المطبعة وزره ، أو أحيله على غيرى كالذى نقل عنى هذه القصة مثلا . ولكنى لا أعترف بأنه كان يستحق عنايتكم إلى هذا الحد ، أو يستأهل إشارتكم الكريمة ، إن هناك على ما أعتقد من جديات الأمور ما هو أجدر بعنايتكم وأحق بتوجيهاتكم . كنت أفهم مثلا أنكم تتحدثون عن القصة فى مجموعها كوحدة فنية ... الخ »

وأقول إنى لم أعرض لنقد القصة حتى أستوعب نواحيها المختلفة ، ولم يصرفنى هذا الخطأ عن جديات الأمور . إنما هى نظرة من زاوية ، سيقت فى سطور من « الكشكول » وليس من دأبى تتبع الأخطاء اللغوية ، ولا آتى بشىء من ذلك إلا لملابسات أخرى غير مجرد الخطأ ، والذى لا بد من إشارتى إلى قصة الأستاذ غراب هو ما ألاحظه من استهانة بعض الكتاب ذوى المواهب الفنية بسلامة الأسلوب وصحة اللغة .

وقد لمحت فيما قرأت للأستاذ سمات الإجادة الفنية ، وقد بدا لى من رسالته أن ما ندّ من قلمه ليس عن استهانة ، وأنا لا أعتبره ممن قلت إنهم ركبوا ظهور الصحف والمجلات فى غفلة الزمان ، وقد حسب أنى أعنى ذلك ، وسألنى : « ألست معى فى أن هؤلاء الذين ركبوا ظهور الصحف والمجلات فى غفلة الزمان ، أحسن عملا وأكثر نفعا من أولئك الذين ركبت الصحف والمجلات ظهورهم ؟ » ولو سألنى أى الفريقين أسوأ أثراً وأكثر ضرراً لكان من المحتمل أن أجيب ...

الخطب المؤذية :

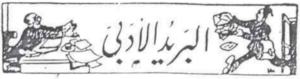
كنت بالأمس فى أحد نوادى العاصمة ، مع الحاضرين لسماع محاضرة تلقى به ، وقام سكرتير النادى ليقدم المحاضر ، وأنا للآن لا أعرف اسم هذا السكرتير ، أما المحاضر فهو شخصية معروفة ، فبالله أيهما أولى بالتعريف ... ؟ وهى عادة متفشية فى أنديتنا وجمعياتنا ، ينتهز السكرتير أو الوكيل أو الرئيس وقد يكون المراقب أو أمين الصندوق ... ينتهز أحد هؤلاء فرصة اجتماع الناس لسماع محاضرة لأحد الأعلام ، فيحتل المنصة نحو نصف ساعة بحجة التقديم للمحاضرة وما هو إلا يريد توكيد شخصيته .

أعجبنى مرة أن رأيت الدكتور طه حسين بك يبرز إلى الجمهور وحده على المنصة بقاعة المحاضرات بالليسيه فرانسيه ، فلم يقدمه أحد ، وما هو بحاجة إلى تقديم .

ذكرنى موقف ذلك السكرتير بما كان قد نشر فى إحدى الصحف من المتبع فى بعض ولايات إفريقية الجنوبية لحماية الناس من الخطب الطويلة المملة ، إذ يوجبون على الخطيب أن يقف على قدم واحدة ، فإذا تعب ومست الأرض قدمه الثانية يجب أن يمسك عن الخطابة وإلا منعه السامعون من الاسترسال بالقوة ! ولو أن فى تلك الولايات من يقدم الخطباء كمن هم لدينا فى مصر ، لقضوا عليهم أن يقفوا على إصبع واحدة من قدم ...

وكم كان ظريفاً ذلك الأعرابى الذى حضر حفل زواج قام فيه خطيب فحمدل وهلل وكبر وأطال فى ذلك حتى أمل ، فقال له الأعرابى : أيها الخطيب لا تتم الصلاة فإنى على غير وضوء .

عباس خضر



كلمة أخيرة فى نيتشه وفاجنر :

حين قارب نيتشة الثلاثين كان كما قال فى كتابيه زرادشت — وما وراء الخير والشر — قد مر بالمراحل التى مرت بها الإنسانية فى تفكيرها ، إذ كان قد عب بشراهة ونهم شديدين من الفنون والفلسفات قديمها وحديثها . وكان الفيلسوف فى السن التى اتصل فيها بفاجنر أستاذاً فى أرقى الجامعات الأوربية ؛ فهو فى صلته بالفنان رجل له مكانته الفكرية ومركزه الاجتماعى ، لا شاب ناشىء كما يريد أن يصوره الأستاذ المداوى منساقاً مع قول رومان رولان المتعصب لبيتهوفن كل التعصب حيث نجده فى كتاب سماه بتهوفن الخالق — Beathoven the Creator — وإن محاضرات الفيلسوف « الناشىء » ودراساته فى تلك السن لا زالت أهم المراجع فيما عالجته من موضوعات — وقد كانت الفلسفة الأغريقية وعلى الأخص أفلاطون أهم الينابيع التى استقى منها نيتشة ، إذ يصور نفسه فى إحدى رسائله[1] إلى فاجنر فى ذلك الحين جالساً بين عدد من كتب هذا الفيلسوف يكاد يحجبه عن الرائى — ولا أظنه بهذا يتملق الفنان أو يدّعى — أما فى الفلسفة الحديثة فقد تتلمذ على شوبنهاور حتى رفعه إلى الدرجة العليا التى رفع إليها فاجنر فى عالم الفن . (انظر كتابيه — شوبنهاور المعلم — والفاجنرية الكاملة) وكان قد استوعب أيضاً فلسفة ماركس وله عنها تنبؤات صدقت بشكل يدعو إلى الدهشة — إذ أن نيتشة هو الذى تنبأ فى كتابه ما وراء الخير والشر لفلسفة ماركس بالذيوع ، وعين بالذات الدولة التى ستحمل مشعلها وهى روسيا فى وقت كان لا يتصور هذا أحد ؛ لأن روسيا كانت ترزح تحت حكم القياصرة الحديدى — وقد صح ما تنبأ به نيتشة فاحتضنت روسيا الماركسية الألمانية وحملت مشعلها -- وقد كان هذا العصر الذى ضم فاجنر وشوبنهاور ونيتشة يموج بأحداث جسام . فقد حدث أن اهتزت أوربا كلها لوجة فكرية عنيفة كان لها ما للقنبلة الذرية فى عصرنا من وقع ،

(١) كتاب رسائل الصداقة بين نيتشة وفاجنر .

بل ربما أكثر ، فهذه جاءت فى عصر ألف فيه الناس العجائب وكانت القنبلة منتظرة منذ سنوات .

أما ذلك الحدث الخطير فقد كان مفاجأة عنيفة ...

وذلك هو نظرية التطور لداروين ١٨٥٩ التى زلزلت الأفكار فى أوربا بل العالم طيلة النصف الثانى من القرن التاسع عشر . ولما أوشك نيتشة أن يكمل الحلقة الرابعة من عمره كانت نفسه تجيش أعظم جيشان عرفته نفس مفكر ... إن نفسه التى امتلأت بفلسفة الإرادة عند شوبنهاور وعالم المثل عند أفلاطون وألهبتها روائع موسيقى فاجنر أخذت تنتفض انتفاضاً شديداً ... إنها تتمخض عن مولد فجر جديد قد يغير مجرى التفكير الإنسانى كله ! وظل فكره فى هذا الميلاد قرابة عقده الخامس . لقد بدأ داروين حبل الخليقة من الخلية إلى الإنسان فجاء نيتشة (حين أحس بأنه امتلأ كالنحلة التى ملت حمل عسلها)[1] وتهيأ للرسالة ، فمد يده وتناول الحبل من داروين ليعبر به قنطرة الإنسان الحالى إلى السوبرمان ... ومن هو السوبرمان؟! إنه الهدف الذى تسمى إليه البشرية فى تطورها ... « وكما صار القرد بالنسبة إلى الإنسان فسيصير الإنسان بالنسبة إلى السوبرمان ... » !

وهكذا خرج زرادشت نبى نيتشة بإنجيل دينه الجديد . دين السوبرمان الذى لا بد أن تصل إليه البشرية (فى زعمه) محطمة فى طريقها كل شىء يعوق هذا السير فوجب إذن أن تتسلح بالقوة والعنف — وهكذا تطورت فلسفة الإرادة عند شوبنهاور إلى إرادة القوة عند نيتشة وسقط شوبنهاور المتشائم أمام سوبرمان نيتشة المتفائل وتحطم إله المسيحية الشفوق الحنون بما فيه من مشابه من أفلاطون (ليست المسيحية إلا الفلسفة الأفلاطونيه ختمت بخاتم إلهى)[2] لأن الشفقة والحنان أخطر العوائق فى طريق السوبرمان ... وأصبحت موسيقى فاجنر التى كانت تحلق بنيتشة فى سماء الفكر لا تستطيع اللحاق به فى آفاق السوبرمان .

وهكذا هوت الآلهة من سمائها فى نظر نيتشة تلك الآلهة التى طالما قرب إليها قرابين العبادة وتسابيح العبودية .. ومن أفلاطون الآن؟ ومن شوبنهاور؟ ومن فاجنر؟ بل من هو الشعب الألمانى كله الذى رماه نيتشة بأقسى النعوت ؟ كل هذا لا شىء مادام لا يؤمن بالسوبرمان ... وهل للقرود (الإنسان الحالى) قيمة فى نظر السوبرمان؟ هذه قصة تحطيم نيتشة لآلهته الأولى ... قد يكون هناك بعض

(١) كتاب زرادشت .

(٢) سانت هيلير فى مقدمة كتاب الأخلاق لأرسطو .

الأسباب عجلت تحطيم بعضها قبل الآخر كزوجة فاجنر مثلا إن كان حقاً لما كل هذا الأثر ، ولكن التحطيم كان آتياً لا محالة . فهذا هو حكم التطور فى عقلية الفيلسوف الذى بينا خطوطه البارزة بقدر ما تطيقه عجالة فى مقالة...

ويؤسفنى بعد هذا أن أناقش الأستاذ المداوى فى التوافه التى وقف عندها كل الوقوف وركز فيها هجومه ... ليس لكلمة genesis فى الإنكليزية كلها إلا هذه المعانى :

Birth' Creation' beginning

ولادة ـ خلق ـ سفر التكوين ـ لا الإخراج ـ (أى خلق العالم) فكيف يصدق أى عقل ترجمتها بلفظة إخراج؟ ! أما الجملة الأخرى You have shown فمنصبة على خلق الكتاب «مولد التراجيديا» أى على القائم بخلقه وكلا الوضعين يؤيد ترجمتى . أما تملق الفيلسوف الشاب للفنان الكبير ليأخذ بيده فى طريق المجد ، فهذه وصمة لا تليق بالأستاذ المداوى ، فكيف تليق بنيتشة العظيم ؟ !

تقول « إن العبقرى يولد وبذور العبقرية فى دمه » كيف تعتقد أنى لا أقر هذا؟ لكن هذه البذور ألا تحتاج إلى هواء وإلى شمس وتربة تمد فيها جذورها ؟! إنها بغير هذا تظل بلا شك بذرة عبقرية لا عبقرية ... والشمس والماء والهواء لا تحيل البذرة ياسيد (مروحى) إلى شمس أو إلى ماء أو إلى هواء ، وإنما هى عوامل مساعدة على التفتيق والإنبات وهكذا كل تأثير فى العبقرية يا صديقى . ونقول : (ما كان لهذا المفكر الجبار أن يتأثر أو يستمد وجوده الفلسفى من أى إنسان مهما تكن مكانته فى الحياة الفنية) . إن الحياة الفنية هنا شأنها شأن أى حياة. ليس العبرة بنوع التأثير بل بوقوعه على أى وجه. ثم إنك تقول إن زارا قال لرفاقه وأنصاره ماذا يهم زارا من جميع المؤمنين به ؛ إذ عليكم أن تجحدونى لتجدوا أنفسكم ... والصواب أن تقول هذا للأستاذ المداوى الذى ينكر أى إيمان سابق لنيتشة بفاجنر ما دام قد جحده أخيراً ، ويرى ذلك كان تملقاً متحدياً كل حقيقة ! مع أن نيتشة ظل يمجد فاجنر حتى أواخر عقده الرابع (١)

أما سؤالك عن تأثير بيتهوفن فى جوته يا أستاذ مداوى فهو مثل معكوس لأن جوته الفيلسوف كان يكبر بتهوفن بمراحل ، بينما نيتشة كان مع فاجنر فتى ناشئاً يخطو أولى خطواته كما تقول . ومع هذا لا نستطيع أن نحكم بعدم تأثير موسيقى بتهوفن فى تفتيق عبقرية جوته عن بعض المعانى . ونيتشة بالذات ذو سليقة موسيقية لأنه شاعر لا ناقد — يا أستاذ مداوى — إذ هو القائل : « إن كتابى زرادشت أنغام موسيقية صدحت فى داخلى فأصغيت إليها وسجلتها » !

أما استشهادك بالناسخ والمنسوخ فى القرآن فإننا نقول بوقوع التأثير فى عبقرية نيتشة والتأثير وقع أيضاً فى فترة ما بفضل الآيات المنسوخة قبل نسخها ، فمثلا فى آيات الخمر قد شرب الخمر بعض الصحابة فعلا بمقتضى إباحة الآيات المنسوخة قبل وقوع النسخ وهذا مؤيد لقولنا أيضاً ... أما كلمة خلق العبقرية التى ذكرتها فلا محل لها مطلقاً فى المناقشة ؛ وشتان بين الخلق والتفتيق ! يا أيها الأستاذ الناقد !

أما ما جاء فى مقالك من لغو فنمر عليه كراماً ...

محمد فهمى

فى تفسير الإمام محمد عبده :

جاء فى تفسير جزء (عم) للأستاذ الإمام — رحمه الله — عند تفسير أول سورة (الليل) ما يأتى :

(والليل إذا يغشى) يبتدئ فى هذه السورة بأن يقسم بالليل وهو الظلمة لأنها الأنسب بما ختمت به السورة السابقة من الدمدمة وإطباق العذاب ... اهـ

والإمام يعنى بالسورة السابقة سورة (الشمس) التى آخرها « فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها ، ولا يخاف عقباها » والمعلوم أن سورة الشمس سابقة لسورة الليل فى الترتيب لا فى النزول إذ أن سورة الليل نزلت بعد سورة الأعلى — وبذلك يكون لا محل هنا لذكر المناسبة التى ذكرها الإمام .

أما المناسبة ؛ فلما كان القسم عليه هو تقرير اختلاف سعى الناس فى الحياة اشتملت صيغة القسم على أشياء مختلفة لتركيز المعنى المقصود فى عقول المخاطبين ... فقد أقسم بالليل والنهار فى قوله « والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى » وهما مختلفان ... كما أقسم بخالق الذكر والأنثى فى قوله : « وما خلق الذكر والأنثى » وهما مختلفان أيضاً ، كأنه يريد أن يقول لهم : إن اختلاف سعيكم فى الحياة مؤكد تأكيد اختلاف الليل والنهار والذكر والأنثى ذلك الاختلاف الذى لا يتطرق إليه أدنى ريب ولا تستطيعون إنكاره .

محمد عبد الله السمان

مدرس بمدارس الاسلام الكبرى الابتدائية بالجيزة

---

(١) against wagner 1888

أين دفن الإسكندر :

ورد فى مقالة الأديب كاظم الظفر عن (إيوان كسرى) أن الإسكندر المقدونى توفى فى المدائن وحمل تابوته إلى الإسكندرية لأن امه كانت تقيم فيها . والتاريخ يقول غير ذلك إذ يقول إن الإسكندر توفى فى مدينة بابل وتابوته لا يعرف له مقر حتى الآن وأمه عند وفاة ابنها الإسكندر تقيم فى بيللا Pella مسقط رأس عائلة الإسكندر .

عزيز خانكى

جمع غيور :

جمع غيور على غيورين صحيح على مذهب الكوفيين لأنهم لا يشترطون فى الصفة التى تجمع جمع تذكير ألا يشترك فيها المذكر والمؤنث سواء كانت على وزن فعول أم لا بخلاف البصريين وقس عليه نظائره ، ولا يخفى أن هذا الجمع المألوف المشهور ، أخف وألطف من جمع التكسير (غُيُر) الغريب المهجور .

على حسن هلالى
بالمجمع اللغوى

سويا بمعنى معا :

اطلعت على ما كتبه الأستاذ كامل محمود حبيب تحت عنوان « فتى من الريف » فى عدد الرسالة ٨٢٠ فأعجبني الأسلوب القوى والتركيب المتين والبلاغة المتدفقة فى كلامه ولكن رأيت فى ثنايا تعبيره عبارة جذبت نظرى .

فى ص ٣٣٣ يقول على لسان هذا الفتى « وهؤلاء رفقائى نغدو معاً إلى الأزهر ونروح سوياً إلى الدار ... »

واستعمال سوياً فى هذا الموضع بمعنى معاً خطأ شائع على الألسنة لأن لفظ سوى إنما هو بمعنى مستو .

قال فى اللسان ورجل سوى والأنثى سوية أى مستو فأرجو التنبيه على فساد هذا الاستعمال فى مجلتكم الزاهرة التى تدعو دائماً إلى رفع الثقافة العربية والأساليب البارعة فى مختلف الأقطار العربية .

عبد العليم على محمود

قلم صنع لا صناع :

ورد فى المصباح المنير فى مادة صنع ما يلى (ورجل صنع [بفتحتين] وصنع اليدين أيضاً أى حاذق دقيق . وامرأة صناع [وزان كلام] ... الخ) .

وعليه نقول : قلم صنع ؛ لا صناع كما جاء فى عرض الأستاذ العجمى لكتاب (وميض الأدب بين غيوم السياسة) فى عدد الرسالة (٨٢٠) إذ قال : وبهذا القلم الصناع تناول ... الخ) .

هدى الله الأقلام ، فصيح الكلام .

(المنصورة) **اسماعيل أبو ضيف**

تاريخ الأزهر :

(لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ أبو العيون)

الجانب الذاتى فى تناول التاريخ هو الذى يبطر جوه ؛ ويشيع الدفء فى أنفاسه ؛ ويبعث الحياة والنشاط والتأثير فى جسمه : وهنا يغدو الجانب الموضوعى وهو الهيكل العظمى مكسواً باللحم والدم . وعمل كاتب التاريخ هو تقديم صورة حية واضحة لما يعالجه . وهذا ما يحسه القارئ لهذا العمل الذى قام به فضيلة الأستاذ الشيخ محمود أبو العيون فى التأريخ للأزهر وإلقاء الضوء على تلك البيئة الفاطمية التى ولد بين أحضانها الأزهر .

فشهدنا ميلاده ووقفنا على الآمال التى كانت معقودة على هذا الوليد ، ثم تطوره حتى صار جامعة إسلامية كبرى . ثم يعطينا فكرة عن مواد الدراسة فيه ، ويقدم لنا شيوخه الذين تولوا قيادته ، ويقف بنا غير طويل ليعرفنا بأشهر رجاله ، ويعرج بنا على نظام الدراسة قبل النظام وبعده ؛ ثم بين تلك الأطوار التى مرت عليه حتى استقر به المقام فى هذه الرحلة الأخيرة وما يطبعه من سمات فكرية وروحية . وهذا عمل قيم جاء فى وقته ؛ فتاريخ الأزهر الحافل لم تكن صورته واضحة محددة إلا فى أذهان القلة القليلة من المثقفين ؛ وما عداهم فهى مبهمة مطموسة رجراجة .

وقد غدت بفضل هذه الدراسة واضحة للعيون مستقرة فى الأذهان . ولعل هذه الدراسة الوجيزة تكون فاتحة لدراسات مستفيضة دقيقة تتناول كل ناحية من نواحيه . وبعد فلا أظن أن أستاذنا فى حاجة إلى تقديم آثاره فى نواحى الجهاد السياسى .



قصة من روائع موباسان :

الغريب ... !

بقلم الأستاذ مصطفى جميل مرسي

— ١ —

أخذنا بأطراف الحديث والعربة تغادر بنا مدينة « كان » زاخرة براكبيها ، ولم نكد نتجاوز « بار سكن » حتى صاح أحدنا :

— ها هو ذا المكان الذي كانت تذبح فيه الناس !

فإذا بنا نخوض في أخبار الخرافات ، ونتناول سيرة أولئك القتلة الذين كانوا — فيما مضى — يسلبون الناس أرواحهم ويغتصبون أموالهم . فراح كل منا يدلي بما يساوره من قصص ، ويطرح ما يراوده من خواطر ... وطفقت النساء يحملقن مروّعات في ذلك الظلام الحالك من خلال النوافذ ... يتوجسن خيفة أن تقع أبصارهن على رأس آدمي لدى الباب ! وتأهب أحد الأطباء — وكان يشد رحاله إلى الجنوب كل عام إذا ما بدت تباشير الشتاء — ليلقي في أسماعنا واحدة من تلك القصص التي يكتنفها الغموض والغرابة :

« لم يسعدني الحظ يوماً لكي أبلو شجاعتي وأجرب جسارتي في أمر من هذا القبيل ، إنما كنت على معرفة بسيدة قد طواها الموت وكانت ممن أعالجهن ... حدث لها أمر من أغرب الأمور وأشدها حزناً في هذا الوجود ...

« كانت روسية تدعى « الكونتس ماريا بارنوا » ... وهي امرأة عظيمة ذات حسن ساحر وفتنة باهرة ... وأنتم تدركون كم هن جميلات أولئك الروسيات بأنوفهن الرقيقة ، وثغورهن المرشوقة ، وعيونهن النجل ، وقدودهن النضة . وما يبدين من الصلابة والإباء مع فيض من العذوبة والإغراء ... فيهن كل ما يخلب لب الرجل الفرنسي ويثير افتتانه !

« وكانت « الكونتس » فريدة بينهن ، وقد فطن طبيبها منذ سنوات إلى الداء وهو ينهش في صدرها ، فأخلص لها النصح في أن تسعى إلى جنوب فرنسا ... بيد أنها أبت أن تبارح « سان بطرسبرج » ، فالتقى الطبيب — في الخريف الماضي — فأنذر

والأدبي والديني لا تزال رائحة خصبة .

محمد عبد الحليم أبو زيد

قصص الأطفال الحسابية المصورة :

(تأليف الأستاذ حسن محمد السكري)

هذه سلسلة جديدة من « كتيبات » صغيرة الحجم عظيمة النفع كبيرة الفائدة توفر على تأليفها الأستاذ حسن محمد السكري المدرس بمعاهد المعلمين ، وأفرغ فيها الجهد المشكور فجاءت متمشية مع أحدث طرق التربية الحديثة لتعلم مادة الحساب .

ومادة الحساب — لا شك — من المواد الجامدة التي لا يقبل عليها صغار التلاميذ وبخاصة في المراحل الأولى من التعلم ، وذلك لخلوها من أدوات التشويق والترغيب وجلب انتباه الصغار والأستاذ مؤلف الكتاب وفق كل التوفيق حين جعل مسائل الحساب قصصاً مصورة ملونة مشوقة تدفع الأطفال وترغبهم في قراءتها كموضوع من موضوعات المطالعة ، وكمسألة من مسائل الحساب في آن ، وفي ذلك يقول في تقديم كتابه « حملني على وضعها ما ألمسه من شغف الأطفال بمطالعة القصص ، وما أراه من خير محقق في الاستفادة بهذا في تدريبهم أثناء المطالعة على بعض العمليات الحسابية حتى تزدوج الفائدتان العربية والحسابية » ...

وبعد : فإننا نزجي أفضل الشكر للأستاذ المؤلف الذي أخذ على عاتقه القيام بهذا العمل الجليل في خدمة النشء ، ونرجو أن ينتفع الأبناء بالإقبال على أمثال هذه المؤلفات التي تتوخى الفائدة ، وتستهدف أسمى الأغراض ، وأنبل الغايات

(الزيتون) عدنان أسعد

زوجها بسوء المصير ، فألح هذا على امرأته أن ترحل إلى « منتون » في فرنسا .

« فاستقلت القطار — منطوية على نفسها في عربتها — أما حاشيتها فقد أقامت في ناحية أخرى من القطار .

وران عليها الحزن واحتواها الشجن ، وهي جالسة على كثب من الباب تلقي بطرفها إلى الحقول والقرى وهي تمر بها في إثر بعضها ، وقد استشعرت ألم الوحدة ، وأحست لذع الوحشة في حياتها وهي عاطلة من أطفال يملؤونها بهجة وبشراً ، وخالية من ذي رحم يحيلها مرحاً وأنساً ... غير زوج ماتت في قلبه عواطف الحب ، ونضبت منه عيون الحنان . . فلم يتورع أن يقذف بها في ركن قصي من العالم دون أن يصحبها كما ينبذون الخادم المريض في معزل عن الخلق !

وكان تابعها « إيفان » ينزع إليها في كل محطة لينظر إن كانت سيدته تروم أي شيء فيؤديه لها ، وكان رجلا كهلا شديد الإخلاص ، مغلق القلب على الطاعة ، سريعاً إلى إنجاز كل أمر تلقي به إليه ...

وبخاطر عن لها أن تحسب ما قدم لها زوجها — في اللحظة الأخيرة — من النقود الذهبية الفرنسية ، ففتحت حقيبتها الصغيرة ، وأفرغت في حجرها ذلك الفيض الأصفر الرنان !

وعلى حين غرة أصابت وجهها نسمة قارسة من الهواء ، فرفعت رأسها — وقد تولتها الدهشة — تستجلي الأمر ، فإذ بالباب قد فتح ، فلم تملك الكونتس المضطربة سوى أن تطرح غلالتها السمراء على ما في حجرها ، ثم قبعت مترقبة !

فلم تمض لحظات ، حتى دلف من الباب رجل عاري الرأس ، جريح اليد ، لاهث الأنفاس ، وأغلقه من خلفه ، واستقر في مقعد باق إلى جارته بنظرات حادة ، ثم لم يلبث أن لف منديلا حول رسغه المخضب بالدماء !

فأحست السيدة لفرط خوفها أنها تكاد تغيب عن وعيها ، فلا مجال للريب في أن هذا الرجل قد لمحها وهي تحسب نقودها ، فخف إلى سلبها ... ثم ... ثم يزهق روحها ! إنه ما برح يحدجها بنظراته الثاقبة ... مضطرب الأنفاس ، مقطب السمات ، يتربص بها الفرص حتى يقب عليها !

قال بغتة : سيدتي ... لا تخافي ولا تجزعي !

فلم تنبس ببنت شفة ، وقد تحجر لسانها ، وطنت أذناها ، وازداد قلبها خفقاً !

واستطرد فيما يقول : ما أنا بشرير ... أيتها السيدة !

فأمسكت على صمتها ، ولكن حركت ساقها فجأة — وهي لا تدري — فأخذ الذهب يتدفق إلى الأرض كما يتدفق الماء من الصنبور ... فمكث الرجل يحملق حيناً وقد أخذته الدهشة في ذلك السيل الذهبي ، ثم لم يلبث أن انحنى يلتقطها ويجمعها !

فهمت مروعة ، وألقت بكل ما معها على البساط ، وهمت أن تجري تروم النجدة وتتوخى النجاة !

ولكن الرجل — وقد أدرك ما هي مقدمة عليه — قفز إليها وأطبق على ذراعها ، ثم دفعها في غلظة إلى حيث كانت تجلس وهو ممسك برسغها ... وراح يقول في صوت مرتعد النبرات : اصغي إلي يا سيدتي ... لست بشرير ، ولا معتد أثيم ... والبرهان على صدق ما أقول أني سأجمع هذا الذهب وأرده عليك لا ينقص دانق ، ولكنك إذا لم تكوني لي عوناً وملاذاً حتى أعبر الحدود ، فما أنا إلا رجل ضائع يساق إلى موته ، ولن أبوح لك بغير ذلك ! ففي خلال ساعة سيمرق بنا القطار من الحدود الروسية ، وحياتي معلقة حينئذ بين يديك رهن بمشيئتك ... ولا يذهب بك الخيال ، وتتوزعك الوساوس ، إلى أني سفكت دماً ، أو سلبت مالا ، أو جئت أمراً يخالف الشرف ويدنس الضمير ... أقسم لك أني لم أجانف إثما ولم أقارف ذنباً ... ولكن لن أبوح لك بالمزيد !

ثم ركع ثانية ، وراح يجمع الذهب ، حيث انتثر تحت المقاعد وفي ثنايا البساط ، حتى إذا امتلأت الحقيبة به مرة أخرى ، ناولها لجارته في هدوء دون أن تنفرج شفتاه عن كلمة يرددها ... ثم انثنى إلى الركن الآخر من العربة فجلس فيه لا يحرك ساكناً ! ومكثت هي جانحة إلى الصمت وقد لفها السكون ... وما برحت الغشية تراودها من أثر الخوف والرعب ، وإن أفرخ روعها وبدأت نفسها تنزع عن الاضطراب ويطمئن قلبها رويداً رويداً !

أما هو ، فقد جلس لا يريم ، ولا يختلج له طرف ، وهو يحدق أمامه ، شاحب الوجه ، تعلوه صفرة كأنها صفرة الموت ... وأخذت هي ترسل إليه — بين الفينة والفينة — نظرات عاجلة تختلسها اختلاساً ، وسرعان ما تبدد عنه ... بدا لها الرجل وضئ

الوجه منبسط السمات ، عليه سيماء السيادة والنبل ، قد تجاوز عقده الثالث !

وكان القطار ينساب فى سرعة مخيفة خلال الظلمات الطامية ، ويرسل بين آونة وأخرى صفيره الحاد يخرق هدأة الليل بحدته ! ولكن ما لبث أن خفف من سيره ... ثم سكنت حركته بعد أن زفر بعض الصفيرات ... فلما برز « إيفان » من الباب ، ألقت « الكونتس ماريا » نظرة عجلى على رفيقها ، ثم قالت لخادمها فى صوت خافت ونبرة سريعة : « إيفان سوف نعود إلى الكونت ، فما بى حاجة إليك ! »

فحملق فيها الرجل بعينين واسعتين يتراقص فيهما الاضطراب وقد تجلت على وجهه الحيرة ، وأرتج على لسانه القول : « ولكن يا سيدتى ! » فأجابته :

— « كلا ... لا تصحبنى ... فقد غيرت من فكرى ورجعت عن رأيى ... ومن الخير أن تبقى فى روسيا ... إليك بعض النقود لتعود بها ، وناولنى قبعتك وعباءتك ! »

فخلع الخادم فى جزع ودهش قبعته وعباءته دون أن ينبس بسؤال يستجلى به الأمر ، فقد عودته التجارب وعلمته الأيام أن يطيع أهواء سادته ويجيب نزواتهم ولو كانت غريبة مباغتة ، ثم ارتد على أعقابه مغرورق العينين بالدموع !

ولم يلبث القطار أن اندفع يطوى الأرض شطر الحدود . فقالت « الكونتس ماريا » لرفيقها : « إن هذه الأشياء لك — أيها السيد — أنت الآن « إيفان » خادمى ... ولا أروم إزاء ذلك سوى شرط واحد ، هو ألا تحدثنى بكلمة ، ولو كانت تحمل معنى الشكر ! » . فانحنى الرجل فى رقة دون أن ينبس ببنت شفة !

ثم عاد القطار إلى الوقوف ثانية ، وصعد إليه نفر من الضباط فى أرديتهم الرسمية ، فدت لهم الكونتس يداً بأوراقها قائلة — وهى تومئ إلى الرجل فى مؤخر العربة — :

« ها هو ذا خادمى إيفان وأوراقه هنا ! »

* * *

انطلق القطار فى سيره من جديد ، وقد جلس كلاهما غير بعيد من الآخر ، والليل يضمهما ، والصمت يحتويهما ، حتى إذا انسلخ نور الصبح من دياجير الليل ، وقف بهما القطار فى محطة ألمانية ، فنهض الرجل المجهول ، وقام إلى الباب قائلا فى صوت هادئ رقيق :

— معذرة يا سيدتى إن أخلفت ما كان من وعدى ، بيد أنى قد حرمتك من خادمك ، فلا أقل من أن أحل مكانه ، أما تعوزك حاجة ؟ !

فأجابته فى فتور : اذهب وادع وصيفتى !

فمضى ثم طواه الخفاء ، ولم يقع عليه طرفها بعد ذلك إلا حينما كانت تتناول غداءها فى إحدى المحطات وهو يرمقها من بعيد ، ثم أخيراً فى « منتون » حيث استقر بها النوى !

— ٢ —

وثاب الطبيب إلى الصمت هنيهة ، ثم وصل ما انقطع من حديثه قال :

« وذات يوم ، بينما كنت أتلقى مرضاى فى عيادتى ، دخل على شاب فارع القامة وسيم المحيا وسألنى فى هدوء وسكينة : « أيها الطبيب ، لقد أقبلت متقصياً أخبار الكونتس ماريا بارنوا ! إنى من أصدقاء زوجها ، وإن كانت لا تربطنى بها معرفة ! »

فأجبته : « لقد أفلت الزمام من يدها ، ولن تطأ أرض روسيا بعد الآن ! »

فإذا بى أرى الرجل يشرق فى البكاء ، ثم مضى فى سبيله يترنح كمن ذهبت بلبه الخمر ! وقد أخبرت « الكونتس » فى المساء بما كان من شأن ذلك الرجل الغريب ، فهزت رأسها وقد لاحت على وجهها سيماء التأثر ... ثم أخبرتنى بتلك القصة التى رددتها على أسماعكم لتوى !

ثم أضافت قائلة : « إن هذا الرجل الذى لا أدرى عنه شيئاً. يتبعنى الآن كظلى ! . ولا أكاد أخرج يوماً حتى ألتقى به ... فينظر إلى فى رقة ونبل .. بيد أنه لم يحاول أن يخاطبنى أبداً ! ..

وران الصمت عليها حيناً ، وهى تحاول أن تجمع شتات فكرها .. ثم قالت : « تعال ... سأراهنك على أنه قائم تحت النافذة فى هذه اللحظة ! . »

وغادرت كرسيها الطويل ، وخطت إلى النافذة .. ثم أزاحت الستار عنها ، وجعلتنى أرى ذلك الرجل الذى أتانى فى الصبيحة . جالساً على مقعد فى الروضة التى أمامنا .. يمد بصره إلى المنزل .. فما إن وقع بصره علينا — ونحن فى النافذة — حتى نهض من

جلسته ، ومضى فى الطريق لا يلوى على شئ ، حتى غاب عن ناظرينا ! . .

وحينئذ فطنت إلى شئ عجيب يبعث الحزن ويثير الإعجاب . لقد أدركت سر ذلك الحب الصامت الذى توثقت عراه وتمكنت وشائجه بين هذين المخلوقين اللذين جهل كل منهما صاحبه كل الجهل !..

إنه يهيم بها ويعبدها عبادة خالصة ، ويود أن يفديها بحياته . فكان يقبل على فى كل صباح يسألنى : « كيف حالها ؟ ! . » وهو على يقين من أنى أدرك مدى أحاسيسه ومشاعره . . . ثم ينشج فى نحيب وجزع وقد أسدل على وجهه راحتيه... كلما أحس بأنها تزداد ضعفاً وتشتد نحولاً ... وقد ثقلت عليها وطأة العلة .

قالت لى يوماً :

« إنى لم أخاطب ذلك الرجل العجيب سوى مرة واحدة . ولكن يبدو الآن كأنى أعرفه منذ عشرين سنة ... » وحينما التقت به ردت على انحناءته الرقيقة : بابتسامة أضاءت على ثغرها ، وفاضت على صفحة وجهها ؛ وقد أحست — على رغم خطاها السريعة إلى القبر — أنها سعيدة كل السعادة هانئة كل الهناء بذلك الحب الذى يفيضه عليها هذا الإنسان ويغمرها به فى وفاء نبيل وإخلاص شاعرى ... يكاد أن يذهب بنفسه كل مذهب !. ولكنها أبت أن تعرف اسمه ورفضت أن تخاطبه وهى .. تردد : « كلا ... ثم كلا ... أن هذا سوف يمحو تلك الصداقة الغريبة بيننا ... ويفسدها .. ينبغى أن يظل كل منا جاهلاً صاحبه . قريباً إليه بقلبه بعيداً عنه بلسانه ! »

أما هو ، فقد كبت نفسه وراضها على ألا يدنو من صاحبته ... وحزم أمره على أن يفى بعهده الذى قطعه على نفسه فى العربة وهو ألا يكلمها أبداً ... وقد كانت هى خلال الساعات الطوال التى يشتد فيها الوهن عليها ويضيق صدرها بالحياة . . تنهض عن مقعدها وتسعى إلى النافذة فتزيح ستارها ... حتى تنظر إن كان ثمة تحت النافذة ؟! فإذا اطمأن بصرها إليه وهو جالس على مقعده لا يريم ... انثنت إلى فراشها ، وقد انفرجت شفتاها الذاويتان عن ابتسامة رقيقة !..

وأشرقت عليها الشمس ذات يوم جسداً بلا روح ، وقد طوى الموت صفحة حياتها !.. وبينما كنت أهم بمغادرة البيت ... أقبل على الرجل شاحب الوجه زائغ العينين ، وقد تجلى على محياه أنه علم بوفاتها منذ لحظة .. وابتدرنى قائلا فى صوت كله رجاء وتوسل : « كم أود أن أراها ولو لحظة فى حضرتك ! » فأخذته من ذراعه ودلفنا إلى المنزل معاً . فلما بلغنا حيث سجيت السيدة الميتة . ركع إلى جوارها فى خشوع ، وأمسك بيدها فى رفق ، وطبع عليها قبلة طويلة حارة تبللها الدموع ... ثم انقلب على أعقابه ... وانطلق فى سبيله ... وكأنما تجرد من مشاعره وتعطل من أحاسيسه ! .

وخيم الصمت برهة على الطبيب ! ثم عاد الحديث : « إن هذه الحادثة هى أغرب ما مر بى من الحادثات . بل لعلها الوحيدة التى تظهر لكم الناس ... وماهم عليه من غرابة وجنون !.. » فتمتمت إحدى النساء فى نبرة خفيضة : « لم يكن هذان المخلوقان سادرين فى جنونهما كما تذهب بك الظنون ... بل إنهما كانا ! إنهما كانا !.. »

بيد أنها لم تمض فى عبارتها ... فقد شرقت بالدموع ! ولم يدرك أحد منا ما كانت ترمى إليه من قوله ... إذ حولنا دفة الحديث لتهدئ من روعها وتنزل على قلبها السكينة .

(طنطا) مصطفى جميل مرسى

مطبعة الرسالة